


(دمشق) شباط سنة ١٩٢٦ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٤ هـ ٦٢

# تصحيح نهاية الارب

## « اغلاط الجزء الثاني »

في ص٦ س٦ ( فقيل أُنَيْس ) ضبطه مصغراً من دون تشديد وصوابه أُنَيِّس بالتشديد لان الكلام انما هو في ( أُناس ) لا ( أُنس ) . وما كان ثالثه حرف علة شُددت فيه ياء التصغير فيقال في غراب غُريِّب وفي زَبيب زُبَيِّب وهكذا .

وفي ص٧ س٩ — قوله ( وفي تصغير ليلة لييلة ) نعم هذا هو تصغيرها القياسي وليس الكلام فيه وانما الكلام في التصغير غير القياسي فالصواب ان يقال ( وفي تصغير ليلة لييلية ) اي بزيادة ياء بعد اللام الثانية كذا ورد تصغيرها . ومن ثم قال بعضهم ان أصل ( ليلة ) ( ليلاة ) ولذلك صغرت على ( لييلية ) لان التصغير يرد الاشياء الى أُصولها .

وفي ص١٢ س٩ — قوله ( فصل في ظهور الشيب وعمومه ): من تصفح هذا الفصل المركب من اربع صفحات ظهر له ان مضامينه ملفقة تلفيقاً : فانه افتُتح بذكر الشيب . وبعد أسطر قطع الكلام في الشيب وقال : ( وقيل ما السرور ؟ ) فكتب سطراً واحداً ثم قال : ( واما النفس الغضبية ) فكتب سطراً واحداً عنها ثم قال : ( وقيل لحصين ابن المنذر ما السرور الخ ) . ثم بعده ( وقيل لفلان ولفلان ما السرور الخ ) . ثم رجع وقال : ( واما النفس البهيمية ) وبعدما كتب عنها نحو نصف صفحة قال ( وقيل لامرئ القيس ما السرور ) فأجاب كذا وكذا وقيل لفلان وقيل لفلان

وهكذا الى آخر الفصل · وظاهر ان تقسيم النفس الى غضبية و بهيمية لاعلاقة له بالشيب وكذلك اختلاف الناس فيما هو السرور · مع ان المؤلف عاد فعقد للشيب في ص ٢١ فصلاً خاصاً أسهب فيه القول ايّما إسهاب · و يا ليت المصحح الفاضل نبّه الى ما ذكرنا من حدوث خلل في هذا الفصل ·

وفي ص ١٨ س ١١ — قوله في صفة الشعر المسترسل ( حتى تناهى الى مواطنه ) كذا بالنون وصوابه (مواطئه) بالهمزة اي مواطئ اقدام المحبوب بدليل قوله في الشطر الثاني بعده ( يلثم من كل موطئ عفَره ) ·

وفي صفحة ٢٥ سطر ١٦ — قوله في صفة الشيب :

( هو الزور يُجفى والمعاشر يُجتوى وذو الإلف يُقلى والجديد يُرقّع )

( الزور ) ضُبطت بضم الزاي خطأً وصوابه ( الزَور ) بفتحها وهو الزائر فالشاعر يتعجب من كون الناس يعاملون الشيب بالجفاء وانما هو زائر ومن حق الزائر ان يُكرم ·

وفي صفحة ٥٢ سطر ١٤ — ذكر المصنف من امراض العين ( السجَا ) وقال هو «ان يعسر على الانسان فتح عينيه اذا انتبه من النوم» فقال المصحح «لعل الصواب (الجسأة) بتقديم الجيم على السين كما في فقه اللغة» لكن الذي في كتب اللغة انه يقال ( امرأة ساجية الطرف ) اذا كانت ساكنته · وفي الاساس فاترته · ومثله سجواء الطرف · وسجا الليل سكن ودام · ومنه قوله تعالى : ( والليل اذا سجا ) اي سكن أهله وركد ظلامه · اما ( الجسأة ) بتقديم الجيم فالصلابة واليبس» · فأنت ترى ان مادة ( السجو ) أقرب الى المعنى الذي أراده المصنف في مرض العين · وقد راجعت فقه اللغة في فصل محاسن العين ومعايبها فلم أجده ذكر الجسأة ولا السجا ·

وفي صفحة ٦٤ سطر ١٣ — قوله ( تداءَب ريح المسك فيه ) اي في الربع الذي غيّره البلى · و(تداءَب) كذا بالدال المهملة من باب التفاعل · وصوابه ( تذأّب ) بالذال المعجمة من التفعّل يقال (تذأبت الريح ) اذا جاءت مرة كذا ومرة كذا كما يفعل الذئب · فالتذؤب مأخوذ من مادة ( الذئب ) وانما ذكّر الفعل مع ان الريح مؤنثة لان تأنيثها مجازيّ ومثله يجوز تذكير فعله وتأنيثه ·

وفي صفحة ٧٠ سطر ١٢ — قال ذو الرمة :

( حديث كوقع القطر في المحْل يُشتفى به من جوىً في داخل القلب لاطف )

لم أجد في كتب اللغة ( داء أوجوى لاطف ) وانما وجدت الأساس يقول ( داء ملاطف ) اي مداخل وتبعه التاج في استدراكه على صاحب القاموس . فهل قول ذي الرمة ( داء لاطف ) صحيح وتكون عبارة الاساس محرفة ؟ او ان الصواب ( داء ملاطف ) كما قال صاحب الاساس ويكون بيت ذي الرمة محرفاً ويكون اصله مثلاً هكذا :

( حديث كوقع القطر في المحْل يُشتفى به من جوىً ذاكي الضرام ملاطف )

وفي صفحة ٨٧ سطر ١٦ — قوله ( لقينا دونهـا امنع سدّ ... واقدح ردّ ) اقدح بالقاف خطأ وصوابه ( أفدح ) بالفاء من فدح الأمر بهظ وصعب وكان ثقيلا لايحتمل ( كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامر ) .

وفي صفحة ٨٨ سطر ١٤ — قوله ( وفُلّ سيفك . وحطّ رمحك ) حطّ اي وضع . ووضع الرمح ليس مما يلتئم مع فلّ السيف . فلعل صوابه و ( حطم رمحك ) اذ يقال ( صعدة حطيم ) اذا تحطمت بجميع أجزائها .

وفي صفحة ١٣٦ سطر ١٨ — قوله ( فتى من أحسن الناس وجهاً . وأثراهم ثوباً ) كذا ( أثراهم ) بالثاء المثلثة وصوابه ( اسراهم ) بالسين المهملة اي اجودهم ثوباً . والسريّ الجيد من كل شيء . ويقال جاء المسافر في ثقل سريّ . اي متاع حسن . ومنه ماجاء في هذا الكتاب . صفحة ١٧٣ سطر ٣ — ( واشترى داراً سريّة واسعة الصحن ) فقوله سرية اي جيدة حسنة . اما ( أثرى ) فعلى فرض صحة ان تكون افعل تفضيل من الثروة فانما يوصف بها الناس لا الثياب .

وفي صفحة ١٤٩ سطر ١٣ — قوله ( فأنشد ريّان قول أُبيّ ) ضبطه بضم الهمزة وياء مشددة مصغراً فأوهم ان (ابيّ) اسم الرجل الذي قال الشعر . والصواب ( قول أَبي ) اي اب مضاف الى ياء المتكلم فان في سياق القصة مايشعر بهذا مذ قال له رفيقه ( ياابن الكرام دَمُ ابيك في اثوابها الخ ) .

وفي صفحة ١٧٩ سطر ١٩ — قوله ( والموت خير من فراق خِلّتي ) ضبطه بكسر

الخاء والصواب بضمها بمعنى الخليلة وبمعنى الصديق بلفظ واحد مع الجميع تقول ( هو وهي وهنّ خُلَّتي ) اما الخِلة بالكسر فلها معانٍ لا تناسب هنا .

وفي صفحة ١٨٠ سطر ٦ — قوله ( شيخ يحامي دون بيض الخدر ) ضبط ( بيض ) بكسر الباء جمع بيضاء فبيض الخدر هن النساء ولعل الصواب ان تضبط بفتح الباء جمع بيضة وكلمة ( بيضة ) هي التي تستعمل مع كلمة الخدر في كلامهم وبها يصفون الجارية المكنونة في خدرها فيقولون ( بَيْضَة خِدْر ) وقلما يقولون ( بيضاء خدر ) .

وفي صفحة ١٩٥ سطر ٥ — قوله ( هذه دجلة قد جاءت بمدٍّ عظيم يُرغب مثله ) صوابه ( يرهب مثله ) لانه انما يحذره من التمادي في نزهتهما على دجلة وهي على هذه الحال من طغيان المد . واعتلاج الأمواج . على ان فعل ( رغب ) انما يتعدى بفي فيقال يُرغبُ في مثله .

وفي صفحة ٢١٢ سطر ١٩ — قوله ( ومذالٍ اما القضيب فقدُّه ) صوابه ( ومدلل ) بالدال المهملة من التدليل وهو الترفيه . فالمدلل المرفّه الذي يتقلب في النعمة وبلهنية العيش . ولا معنى للمذال هنا .

وفي صفحة ٢١٧ سطر ١٠ — قوله :

( يا قمراً اقبل يمشي على دعص من الاغصان مهزوز )

( الدعص ) كثيب الرمل المجتمع وتشبه به الأرداف عادةً . فعلى هذا لا يصح ان يكون قوله من الأغصان بياناً له : فصوابه ( على غصنٍ من الأغصان مهزوز ) او ( على دعصٍ من الارداف مهزوز ) وبوصف الردف بالاهتزاز والارتجاج كما في قول الشاعر صفحة ٢٢١ سطر ١٧

( مرتجّة في تهاديه أسافله مهتزّة في تثنّيه أعاليه )

وفي صفحة ٢١٩ سطر ٨ — قوله ( وواضح النبت يحكي مزاجه الزنجبيل ) صوابه وواضح الثغر . اما النبت فلا معنى له هنا . او لعل النبت محرف عن ( الشُّنُب ) جمع شنيب . وسكنت نونه لضرورة الشعر . والثغر الشنيب ما كان في اسنانه رقة وعذوبة وبرد . ولا يخلو من تكلف . فالأولى ان يكون صوابه ( وواضح الثغر ) كما قلنا .

وفي صفحة ٢٢٥ سطر ١٢ — قوله في قصيدة ابن منير الطرابلسي التي مطلعها ( من ركَّب البدر في صدر الرديني ) الى ان قال ( والساحر الساحر الغرّار بينهم ) كذا بحائين مهملتين وصوابه ( والساحر الساخر ) الأولى بالمهملة من السحر والثانية بالمعجمة من السخرية اي انه يسخر من عاشقيه فيعدهم ولا يفي ٠

وفي صفحة ٢٢٨ سطر ١٤ — قوله ( غيدٌ لسفك دم المحب تظافرت منها الظفائر ) كذا بالظاء في الكلمتين وصوابه بالضاد فيهما والضفيرة الخصلة من الشعر جمعها ضفائر ٠ ومعنى تضافرت تعاونت : الا ان يُدّعى بان فعل (تضافر) مما جاء بالظاء ايضاً كما قاله ابن مالك ٠ ولكن هل تصح هذه الدعوى في الضفيرة ايضاً ؟ ٠

وفي صفحة ٢٣٢ سطر ٢ — قوله

( كواعباً من الدُمى لواعبا مشبهة الثغور لا القلائد )

صوابه ( مشبهة الثغور بالقلائد ) اي ان اسنان ثغورهن تشبه في حسن الانتساق والانتظام قلائدهن التي في اعناقهن ٠ ولا معنى لقوله ( مشبهة الثغور لا القلائد ) ٠

وفي صفحة ٢٣٥ سطر ٦ — قوله ( واحذر ضراماً بالعيون الخ ) صوابه ( واحذر مداماً بالعيون ) اي سكراً وخمراً كما اعتاد الشعراء وصف العيون به و بامثاله كالذبول والفتور والنعاس ٠ وليس من عادتهم ان يصفوها بالنار ولا بالضرام الذي معناه الاشتعال ٠

وفي صفحة ٢٣٨ سطر ١٦ — قوله

( فتعجبتُ من سُراها فقالت غيرمستطرف سُرى الاقمار )

غير مستطرف بمعنى غير مستظرف وغيرمستحسن ٠ ولا معنى له هنا وانما المناسب ان يقال ( غيرمستغرب سُرى الاقمار ) فمستطرف محرّفة عن (مستغرب ) ٠

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ٨ — قوله

( لم اطو بحر نداك — مع قربي — رِقلىً الا مخافة موجه المتراكب )

لا معني لقوله ( لم اطو بحر نداك ) فصوابه لم ( أَجْوَ ) من جَوِيَ الشيءَ اذا كرهه ومثله اجتوى البلد كره المقام به وان تيسرت له فيه اسباب النعمة ٠ وهذا عين

ما أراده الشاعر في قوله ( لم اجو بحر نداك الخ ) اي انني لم اكره نداك والإقامة في ظل جدواك بغضاً ونفرةً منه وانما انا كرهته مخافة ان اغرق في موجه الطامي ·

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ١١ — قوله

( ثلاثة منعتها عن زيارتنا     وقد طوى الليل جفن الكاشح الحنق )

الظاهر من قوله (طوى الليل جفن الكاشح) ان الكاشح يعني الرقيب كان نائماً لكن لا معنى لقوله بعدُ معدداً الثلاثة المانعة للزيارة ·

( نور الجبين ووسواس الحليّ وما     يمسّ اردانها من عنبر عبق )

فان هذه الاشياء لا تعود مانعة للزيارة ما دام الرقيب نائماً · اما اذا كان يقظان فان النور والصوت والطيب تنبهه وتجعله يشعر بالزيارة · فصواب الشطر هكذا ( وقد دجى الليل خوف الكاشح الحنق ) و ( خوف ) منصوب لكونه مفعولاً لاجله · والمعنى حينئذ : انها انما امتنعت عن الزيارة في هذه الحالات الثلاث خشية انتباه الكاشح وتفطنه للامر ·

وفي صفحة ٢٦٦ سطر ١ — قوله

( قالت فان الليث عالٍ به     قلت فسيفي مرهف باتر )

(عالٍ به) اي بالقصر وتعني بالليث حماتها من ابيها واخوتها · وعلى هذا فلا معنى لكلمة (عالٍ) فالصواب (عادٍ) من عدا عليه الاسد وثب عليه وافترسه · ومن اسماء الاسد العادي ·

وفي صفحة ٢٧١ سطر ٣ هنا بيت ساقط من القصيدة أشير اليه بصفّ من النقط وقد قال المصحح ان البيت ساقط من الاصل ولم يعثر عليه وقبله ·

( تلك لحاظُ اعين     ام أُسد غيلٍ وثبتْ )

وقد خطر لي ان البيت الساقط هو بهذا المعنى :

( صحّ هواك في فوآ     دِ عاشقيك وثبتْ )

ودلني عليه قوله قبله في صفحة ٢٧٠ سطر ٨

( يا من لحَظاته أُسودٌ وثبتْ     قد صحّ هواك في فوآدي وثبتْ )

**المغربي**

# اخبار الحمقى والمغفلين

افضنا في الجزء الماضي في وصف كتاب العلامة الكبير ابي الفرج بن الجوزي في اخبار الحمقى والمغفلين ونقلنا شذرات من اوله تقف بالقارئ على روح العصور التي سلفت حتى عهد المؤلف وتمثل أسلوبهم في الكلام وها نحن اولاء ننقل نبذة أخرى منه تجمع بين الأدب والفكاهة والحكمة .

ذكر المؤلف في الباب التاسع من كتابه اخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم افعال الحمقى واصروا عليها فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين ، قال من جملته : وقد جرى من خلق كثير من العقلاء ما يشبه التغفيل الا انهم لم يقصدوا ذلك فذكرت منهم طرفاً لشبهه بالتغفيل ، فمن ذلك ما حكي عن بعض المغنين قال : حضرت عند امير لاغنيه فجرى حديث بعض الوزراء فذكرت من محاسنه وكرمه شيئاً لا حركه به ليفعل مثله ثم غنيته :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فقال لي : قبحك الله ما هذه المعاشرة فاستيقظت وحلفت اني ما قصدته .

ومثل هذا جرى لعبد الله وحسن بن حسين فانه كان يساير السفاح وينظر الى مدينته التي بناها ظاهر مدينة الانبار فأنشده :

الم تر مالكاً اضحى يبني بيوتاً نفعها لبني بُقيله
أيرجّي ان يعمر عمر نوح وامر الله يأتي كل ليله

فغضب فاعتذر اليه .

وبينا عيسى بن موسى يساير ابامسلم يوم ادخاله على المنصور تمثل عيسى فقال :

سيأتيك ما افنى القرون التي مضت وما حلّ في اكباد عاد وجُرْهُمْ

فقال ابو مسلم : هذا مع الامان الذي أُعطيت ، فقال عيسى : اعتقت ما أَمْلِك ان كان هذا شيئاً أضمرته .

ولما حوصر الامين قال لجاريته : غنني فغنت :

كليب لعمري كان اكثر ناصراً وايسر جرماً منك ضرج بالدم

فاشتد ذلك عليه ثم قال : غنني فغنت غيره :

شكت فراقهم عيني فأرّقها ان التفرق للاحباب بكاء

فقال : لعنك الله اما تعرفين غير هذا فغنت :

ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء في الفلك

الا لنقل السلطان من ملك غاب تحت الثرى الى ملك

فقال : قومي فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فاذا قائل يقول : قضي الامر الذي فيه تستفتيان . فلما دخل المأمون على زبيدة ليعزيها في الامين قالت : تسليني في غدائك اليوم عندي فتغدى . واخرجت اليه من جواري الامين من تغنيه فغنت :

همُ قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه

فوثب مغضباً . فقالت له : يا امير المؤمنين حرمني الله اجره ان كنت علمت او دَسَستُ اليها . فصدقها .

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره دخل الناس عليه فاستأذنه اسحق بن ابراهيم ان ينشده فأنشد شعراً في صفته وصفة المجلس الا ان اوله :

يا دار غيّرك البلى ومحاك يا ليت شعري ماالذي ابلاك

فتطير المعتصم وعجب الناس كيف فعل هذا اسحق مع فهمه فقاموا وخرب القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان .

وانشد الصاحب بن عباد عضد الدولة مديحة له فيه :

ضممت على ابناء تغلب تاءها فتغلب ما كر الجديدان تغلب

فتطير عضد الدولة من قوله تغلب وقال : نعوذ بالله فتيقظ الصاحب من قوله وتغير لونه .

وقال اسحق المهلبي : دخلت على الواثق فقال : غنني صوتاً عربياً فقلت :

( يادار ان كان البلا محاك ) قال : فتبينت الكراهية في وجهه وندمت .

ودخل ابوالنجم العجلي على هشام بن عبدالملك فأنشده ابياتاً حتى بلغ فيها ذكر الشمس فقال : « وهي على الافق كعين الاحول » فأمر ان يوجأ في عنقه وأخرج .

ودخل أرطاة على عبد الملك بن مروان وكان شيخاً كبيراً فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الارض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
فاعلم انها ستكر حتى توفي نذرها بابي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن انه عناه وعلم ارطاة انه زل فقال : يا امير المؤمنين اني اكنى بابي الوليد وصدّقه الحاضرون ٠

ودخل ذو الرمة على عبد الملك فأنشده :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كُلى مفرية سرب

واتفق ان عيني عبد الملك كانا يسيلان فظن انه عرّض به فغضب وقطع انشاده وأُخرج ٠ ودخل شاعر على عبد الله فأنشده :

شبّ بالليل من عزيزة نار اوقدتها واين منك القرار

وكان اسم والدة عبد الله بن طاهر عزيزة فتغامز الحاضرون واعلموه بهفوته فأمسك ٠

ودخل رجل على عقبة بن مسلم الازدي فأنشده :

يا ابنة الازدي قلبي كئيبُ مستهام عندكم ما يؤوبُ
ولقد لاموا فقلت دعوني ان من تلحون فيه حبيب

فتغير وجه عقبة فتطير الشاعر فقطع ٠

ودخل الرئيس ابو علي العلوي يوماً على بعض الرؤساء فتحادثا فجاء غلام لذلك الرجل فقال : يا سيدي اي الخيل نسرج اليوم فقال تسرج العلوي فقال له ابو علي : احسن اللفظ يا سيدي ، فاستحيا وقال : هفوة ٠

واجتاز المرتضى ابو القاسم نقيب العلويين يوم جمعة على باب جامع المنصور عند المكان الذي يباع فيه الغنم فسمع المنادي يقول : تبيع هذا التيس العلوي بدينار فظن انه قصده بذلك فعاد متألماً من المنادي فكشف عن الحال فوجد ان التيس اذا كان في رقبته حلمتان سمي علوياً نسبة لشعرتي العلوي المسبلتين على رقبته ٠ ونحو هذا جرى لابي الفرج العلوي فانه كان اعرج احول فسمع منادياً ينادي على تيس كم عليكم في هذا التيس العلوي الاعرج الاحول ؟ فلم يشك انه عناه فراغ عليه ضرباً الى ان تبين ان التيس احول اعرج فضحك الحاضرون مما اتفق ٠

وقال ابو الحسن ابن الصابي : دخل بعض اصدقائنا الى رجل قد ابتاع داراً في جواره فسلم عليه واظهر الانس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا واخينا الا انك بحمدالله اوفى منه كرماً واوسع نفساً وصدراً والحمدلله الذي بدلنا من هو خير منه وانشده

( بدل بالبازي غراب ابقع )

فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل وصارت نادرة يولع الرجل بها .

وهنا ننقل من ابن الجوزي بعض نكات المغفلين من القراء والمصحّفين : ان رجلاً قدم ابناً له الى القاضي فقال : اصلح الله القاضي ان هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي : ماتقول ياغلام فيما حكاه ابوك عنك قال : يقول غير الصحيح اني اصلي ولا اشرب الخمر فقال ابوه : أصلح الله القاضي أتكون صلاة بلا قراءة فقال القاضي ياغلام تقرأ شيئاً من القرآن قال : نعم وأجيد القراءة فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب ربابا بعدما شابت وشابا

ان دين الله حق لا ارى فيه ارتيابا

فقال ابوه والله أيها القاضي ما تعلّم هاتين الآيتين الاالبارحة لانه سرق مصحفاً من بعض جيراننا . فقال القاضي قبحكم الله احدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به .

وكان رجل كثير المخاصمة لامرأته وله جار يعاتبه على ذلك فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها فاطلع عليه جاره فقال : يا هذا اعمل معها كما قال الله تعالى اما إمساك ايش اسمه او تسريح مادري ايش ، يريد الآية الكريمة ( إمساك بمعروف او تسريح بإحسان ) .

ومما رواه في اخبار المغفلين من رواة الحديث : كان حيان بن بشر قد تولى قضاء بغداد وقضاء اصبهان وكان من جملة رواة الحديث فروى يوماً ان عرفجة قطع انفه يوم الكلاب وكان مستمليه رجلاً من اهل كجة فقال : ايها القاضي انما هو الكُلاب فأمر بحبسه فدخل الناس اليه فقالوا : ما دهاك فقال : قطع انف عرفجة في الجاهلية وابتليت انا به في الاسلام .

ومما رواه من اخبار المغفلين من الامراء والولاة : جاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد ان يكتب الى ابيه كتاباً يخبره فلم يجد احداً يعرفه فانحدر بالكتاب

الى ابيه وقال : كرهت ان يبطي عليك خبري ولم اجد احداً يجيء بالكتاب فجئت انا به ودفعه اليه . قال ابو عثمان الجاحظ : كان فرارة صاحب مظالم البصرة وكان أطول خلق الله لحية وأقلهم عقلاً وهو الذي قال فيه الشاعر :

ومن المظالم ان تكو ن على المظالم يا فراره

واخذ يوماً من شعره فدعا بمرآة فنظر فيها فقال للحجام : اما شعر رأسي فقد جودت اخذه ولكنك والله يا ابن الخبيثة سحجت على شاربي ووضع يده عليه . وسمع فراره يوماً صياحاً فقال : ما هذا الصياح فقال قوم : يتكلمون في القرآن فقال : اللهم أرحنا من القرآن . قال المؤلف : وبلغنا ان يزيد بن المهلب ولى اعرابياً على بعض كور خراسان فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال : الحمد لله ثم ارتفع عليه وقال : أيها الناس اياكم والدنيا فانكم لم تجدوها الا كما قال الله تعالى وما الدنيا بباقية لحي وما حي على الدنيا بباقي

فقال كاتبه : أصلح الله الامير ، هذا شعر قال : فالدنيا باقية على احد قال : لا قال : فيبقى عليها احد قال : لا قال : فما كلفتك اذن . وبلغنا ان بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبته : ان الله خلق السموات والارض في ستة اشهر فقيل له في ستة ايام فقال : والله اردت ان اقولها ولكن استقللتها . قال : حدثنا ابو بكر النقاش قال : كتب كاتب منصور بن النعمان اليه من البصرة انه أصاب لصاً فكره الاقدام على قطعه دون الاستطلاع على امره وانه خياط فكتب إقطع رجله ودع يده فقال : ان الله امر بغير ذلك فكتب اليه أنفذ ما أمرتك به فان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . واتى منصوراً نخاس ببغل فقال : هذا شراؤه اربعون ديناراً فقال : لا تربح عليّ شيئاً هذه المرة ، يا غلام اعطه الفاً وخمسمائة دينار . ودخل على المأمون فقال : يا امير المؤمنين الموت فاش بالكوفة ولكنه سليم . ودخل على احمد بن ابي حاتم وهو يتغدى برؤوس فقال له احمد هلم يا ابا سهل فانها رؤوس الرضّع فقال هنيئاً أطعمنا الله واياك من رؤوس اهل الجنة . وقال له المأمون يا منصور قد مدت دجلة فأشر علينا فقال تكري مائة سقاء يستقون ذا الماء يرشون الطريق فقال له المأمون حرت فيك . كتب حيان عامل مصر الى عمر بن عبد العزيز ان الناس قد أسلموا فليس من جزية فكتب اليه عمر ابعد الله الجزية ان الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً للجزية .

حدثنا ابوعلي محمدبن الحسن الكاتب قال كنت اكتب لابي الفضل بن غلاب وهو بأرّجان يتقلدها فقيل له قد قدم ابوالمنذر النعمان بن عبدالله يريدفارس والوجه ان تلقاه في غد وكان ابن الفضل يحمّ حمّى الربع فقال كيف اعمل وغداً يوم حمّاي ولا اتمكن من الرجل ولكن الوجه ان أُحمّ الساعة حتى اقدر عليه غداً ياغلام هات الدواح حتى أُحم الساعة فاذا عنده انه اذا اراد ان يقدم نوبة الحمى ويصح غداً تأخرت عنه الحمى . ودخل شجاع بن القاسم على المستعين مرة وطرف ثيابه مخرق فسأله عن سبب ذلك فقال اجتزت في الدرب وكان فيه كلب فوطئت قفاه فخرق دني فما تمالك المستعين ان ضحك .

وروى ابوالحسن محمدبن هلال الصابي قال خرج قوم من الديلم الى اقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي فحملوه الى الوزير ابي عبدالله المهلبي فتقدم باحضار ابي الحسين احمد بن محمد القزويني الكاتب فكان ينظر في شرطة بغداد فقال المهلبي: هذا اللص العيار العراقي الذي عجزتم عن اخذه فخذه واكتب خطك بتسليمه فقال السمع والطاعة الى مايأمر به الوزير ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف اكتب خطي بتسليم ثلاثة فقال ياهذا ، هذا العدد صفة لهذا الواحد . فكتب يقول احمدبن محمدالقزويني الكاتب تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي وهو رجل واحد وكتب بخطه في التاريخ فضحك الوزير وقال لنصراني هناك قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص .

وحضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً فقال للحكيم ماالعلم الاكبر قال : الطب قال : اني اعرف من الطب اكثره قال : فما دواء المبرسم ايها الوزير قال دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره ثم يعالج بالادوية الباردة ليعود حياً قال ومن يحييه بعد الموت ؟ قال هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم انظر في شيء منه الا في باب الحياة واني وجدت في كتاب النجوم ان الحياة للانسان خير من الموت فقال الحكيم أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة . وانشد عبد الله بن فضلويه عامل قرمسين في مجلسه والمجلس غاص باهله هذا البيت :

يوم القيامة يوم لا دواء له  الا الطلاء والا اللهو والطرب

فقال بعض الحاضرين انما هو يوم الحجامة فقال اعذروني اني لا أُحسن النحو .

وذكر ابن الجوزي في اخبار المغفلين من القضاة حدث عبد الرحمن بن مسهر قال ولاني

القاضي ابو يوسف القضاء بجُبّل وبلغني ان الرشيد منحدر الى البصرة فسألت اهل جبّل ان يثنوا عليّ فوعدوني ان يفعلوا ذلك وتفرقوا فلما آيسوني من انفسهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له فوافى وابو يوسف في الحراقة فقلت ياامير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبّل قد عدل فينا وفعل وصنع وجعلت أثني فرآني ابو يوسف فطأطأ رأسه وضحك فقال له هرون مم تضحك فقال ان المثني على نفسه هو القاضي فضحك هرون حتى فحص برجليه وقال هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله فعزلني .

حدثنا الحسين بن جعفر الكوكبي قال حدثنا ابوالفضل الربعي قال حدثنا ابي قال سأل المأمون من أهل حمص عن قضاتهم قال ياامير المؤمنين ان قاضينا لا يفهم واذافهم وهم قال ويحك وكيف هذا قال قدم اليه رجل رجلاً فادعى عليه اربعة وعشرين درهماً فأقر له الآخر فقال له: اعطه قال اصلح الله القاضي ان لي حماراً اكتسب عليه كل يوم اربعة دراهم أنفق على الحمار درهماً وعليّ درهماً وادفع له درهمين حتى اذا اجتمع ماله غاب عني فلم أره فانفقها وما اعرف الا ان يحبسه القاضي اثني عشر يوماً حتى أجمع له اياها فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله واعطاه فضحك المأمون وعزله .

حدثنا ابوبكر النقاش قال انبأنا ابو حاتم قال حكى ابو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال دخلت تاهورت فاذا فيها قاضي من اهله وقد اتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة فأحضر الفقهاء فقال ان هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون فقالوا باجمعهم : الامر لك قال فاني رأيت ان اضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ثم افتحه فما خرج من شيء عملتُ به قال له وفقت ففعل بالمصحف ما ذكر ثم فتح فخرج قوله تعالى ( سنسمه على الخرطوم ) فقطع انف الرجل وخلى سبيله .

وذكر في باب المغفلين من الكتاب والحجاب : نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول عبد الملك شامي عنده فقال الحجاج ليت انساناً يعزيني بابيات فقال الشامي اقول قال قل فقال : وكل خليل سوف يفارق خليله بموت او بصلب او يقع من فوق البيت او يقع البيت عليه او يقع في بئر او يكون شيئاً لانعرفه فقال الحجاج قد سليتني عن مصيبتي باعظم منها في امير المؤمنين اذ وجّه مثلك رسولاً .

كتب رجل من البصرة الى ابيه كتبت اليك ياابي ونحن كما يسرك والله بحوله وقوته لم يحدث علينا بعدك الا كل خير الا ان حائطاً لنا وقع على امي واخي الصغير واختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري ٠

وذكر في اخبار المغفلين من المؤذنين ٠ كان سعيد بن سنان ابو مهدي مؤذناً بجامع حمص وكان شيخاً صالحاً يسحّر الناس في رمضان فيقول في تسحيره يا اهل حمص استحثوا قُديرانكم عجلوا في اكلكم قبل ان أُذن فيسخم الله وجوهكم ٠ ومن اخبار المغفلين من الائمة : مر رجل بامام يصلي بقوم فقرأ الٓم غلبت الترك فلما فرغ قلت يا هذا انما هو غلبت الروم فقال كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم ٠ قال الجاحظ اخبرني ابوالعنبس قال كان رجل طويل اللحية احمق جارنا وكان أقام بمسجد المحلة يعمره و يؤذن فيه و يصلي وكان يعتمد السور الطوال و يصلي بها فصلى ليلة بهم العشاء فطوّل فضجوا منه وقالوا اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك فانك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذوالحاجة فقال لا اطول بعد ذلك فتركوه فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبر وقرأ الحمد ثم افكر طويلاً وصاح بهم ايش تقولون في عبس فلم يكلمه احد الا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلاً فانه قال كيسة مرّ فيها ٠

ومن اخبار المغفلين من الاعراب قدم اعرابي على بعض اقاربه بالبصرة فدفعوا له ثوباً ليقطع منه قميصاً فدفع الثوب الى الخياط فقدّر عليه ثم خرق منه قال لم خرقت من ثوبي قال لا يجوز خياطته الا بتخريقه وكان مع الاعرابي هراوة من ارز فشج بها الخياط فرمى بالثوب وهرب فتبعه الأعرابي فأنشد يقول :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله ... فيما مضى من سالف الاحقاب
من فعل علج جئته ليخيط لي ... ثوباً فمزقه كفعل مصاب
فعلوته بهراوة كانت معي ... فسعى وأدبر هارباً للباب
أيشق ثوبي ثم يقعد آمناً ... كلا ومنزل سورة الأحزاب

خرج قوم من قريش الى ارضهم وخرج معهم رجل من بني غفار فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة ثم سلموا فأعتق كل رجل منهم مملوكاً فقال ذلك الاعرابي اللهم لا مملوك لي أعتقه ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثاً ٠

كان رجل من الاعراب يعمل في معمل الذهب فلم يصب شيئًا فأنشأ يقول :

يا رب قدّر لي في هماس وفي طلابي الرزق بالتماس
صفراء تجلو كسل النعاس

فضربته عقرب صفراء اسهرته طول ليله وجعل يقول : يا رب الذنب لي اذ لم أُبين لك ما أُريد اللهم لك الحمد ولك الشكر فقيل له : ما تصنع اما سمعت انه يقول : « ولئن شكرتم لأَزيدنكم » فوثب جزعًا وقال لا اشكر الا شكراً (؟) قال بعض الاعراب : لنا تمر تضع التمرة في فيك فتبلغ حلاوتها الى كعبك . قرأ امام في صلاته إنا أَرسلنا نوحًا الى قومه فأُرتج اليه وكان خلفه اعرابي وقال : لم يذهب نوح فأَرسل غيره وأَرحنا . كان اعرابي يقول : اللهم اغفر لي وحدي فقيل له : لو عممت بدعائك فان الله واسع المغفرة فقال اكره ان اثقل على ربي . كان لبعض المغفلين حمار فمرض الحمار فنذر ان عوفي حماره صام عشرة ايام فعوفي الحمار فصام فلما تمت مات الحمار فقال يا ربي كأَنك تلهيت بي ولكن رمضان الى هنا يجيء والله لاخذن من نقاوته عشرة ايام لا اصومها . كان اعرابي يصلي فأَخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح فقطع صلاته وقال مع هذا اني صائم . قال بعض الاعراب اللهم أَمتني ميتة ابي قالوا وكيف مات ابوك قال اكل لحمًا وشرب عسلاً ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريان دفيان .

# وصف بعض مدن الشام

« قبل تسعمائة عام »

« سافر ناصر خسرو القبادياني المروزي من أدباء فارس من بلاده سنة ٤٣٧ ﻫ ( ١٠٣٥ م ) ووصف البلاد التي مرّ بها في سورية وفلسطين ومصر وبلاد العرب وبلاد الفرس حتى عاد الى وطنه سنة ٤٤٤ ﻫ (١٠٤٢ م) وقد علق ما رآه بالفارسية في اوراق دعاها كتاب السفر او الرحلة ( سفرنامه ) ورسم بقلمه بعض الاماكن المقدسة التي رآها كالحرمين الشريفين والحرم القدسي فترجم رحلته بالافرنسية العلامة شيفر ( Charles Scheffer ) من علماء المشرقيات الفرنسيس ونشرها سنة ١٨٨١ على نفقة مدرسة اللغات الشرقية في باريز مشفوعة برسوم المؤلف الفارسي التي رسمها بقلمه فآثرنا ترجمة الفصل المتعلق ببلاد الشام التي اجتاز بها ليعلم من وصفه الفرق بين حالها امس وحالها اليوم » .

محمد كرد علي

« سروج ومنبج »

وصلنا يوم السبت الثاني من شهر رجب ٤٢٨ ( ٢ شباط ١٠٤٧ ) الى مدينة سروج واجتزنا بعد يومين الفرات فوصلنا الى منبج اول مدينة من ارض الشام وكنا في اليوم الثاني من شهر بهمان والهواء جيد وليس من بناء حول هذه المدينة .

« حلب وقنسرين وسرمين »

وارتحلنا من منبج الى حلب وبينها وبين ميافارقين مئة فرسخ ( فرسنك ) وحلب على ما رأيت بلدة طيبة يحيط بها سور متين قدّرت علوه بخمسة وعشرين ارشاً وقد بنيت قلعتها العظيمة بأسرها على الصخر ، وعندي ان حلب في عظمها كمدينة بلخ وهي عامرة جداً ودورها متصلة ويتقاضون فيها رسماً على البضائع المحمولة من سورية وبلاد الروم ودياربكر ومصر والعراق . وفي حلب تجار وباعة من هذه الاقطار المختلفة . ولها اربعة ابواب : باب اليهود و باب الله و باب الجنان و باب انطاكية . ورطلها المستعمل هو الرطل الظاهري و يساوي وزنه اربعمائة وثمانين درهماً .

واذا اتجه المرء من حلب صوب الجنوب يصل الى مدينة حماة على عشرين فرسخاً

وبعدها حمص ومن حلب الى دمشق خمسون فرسخًا ومن حلب الى انطاكية اثنا عشر فرسخًا ومثل ذلك من حلب الى طرابلس (؟) ويقال ان المسافة الى القسطنطينية هي مائتا فرسخ . وفي اليوم الثالث عشر من شهر رجب (١١ شباط) سافرنا من حلب وبعد ان قطعنا ثلاثة فراسخ بلغنا قرية جند قنسرين ومن الغد قطعنا ستة فراسخ فبلغنا سرمين وهي مدينة لا سور لها .

« معرة النعمان »

وبعد ستة فراسخ (عن سرمين) نقول لك معرة النعمان هاءنذه وهي مدينة آهلة بالسكان كثيراً ويحيط بها سور من حجر وشاهدت بالقرب من باب هذه المدينة سارية من الحجر زبرت عليها كتابة بحروف ليست بعربية فسألت احدهم عن ذلك فأجابني ان هذا طلسم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها . فاذا جيء بعقرب من الخارج وأُطلق يفرّ ويبتعد . وقدرت ان هذه السارية كان علوها عشرة آرش .

وأسواق المعرة طافحة بالارزاق والخيرات . وجامعها الاعظم مبني على أكمة قامت وسط المدينة ومن اي جهة اتجهت الى هذا الجامع كان عليك ان ترتقي سلماً ذا ثلاث عشرة درجة . ولا يزرع في هذه الجهات الا الحنطة . وتغل غلة حسنة ويكثر في قراها اشجار الزيتون والتين والفستق واللوز والكرمة . ومياه المعرة تجمع من المطر او تمتاح من الآبار .

وحاكم (؟) هذه المدينة رجل اعمى اسمه ابوالعلاء المعري كان من ارباب الثراء وله عدد عظيم من العبيد والخدم والظاهر ان جميع سكان المدينة خدمته اما هو فقد تزهد ولبس ثياباً من الصوف الخشن وانقطع في داره فلا يخرج منه بتاتاً وخصص لطعامه اليومي نصف منّ من خبز الشعير لا يأكل سواه . وبلغني ان باب منزله مفتح على الدوام وان نوابه ورجاله يقضون مصالح الناس ولا يرجعون اليه الا في مهات المسائل وهو يجود بالاحسان من ماله على كل من قصده ويصوم الدهر ويسهر الليل ولا يهتم لامور الدنيا . وقد بلغ هذا الرجل العظيم في الشعر والادب درجة من الكمال أجمع اهل الادب في الشام والمغرب والعراق على الاعتراف بها وانه لم يبلغ احد في هذا العصر ما بلغه من المكانة في هذا الشأن .

ألف ابوالعلاء كتاباً سماه الفصول والغـايات أدخل فيه جملاً معماة وكنايات نمقها بانشاء بليغ غريب بحيث لا يتأتى الان يفهم بعضها والواجب ان يقرأ كتابه عليه حتى يشرحه . وقد انتقد عليه في هذا الكتاب بانه حاول انتقاد القرآن . ويحيط بهذا الرجل مائتا طالب جاؤا من البلدان المختلفة وانقطعوا اليه يدرسون تحت نظره الادب والشعر . ونمي الي بانه نظم اكثر من مئة الف رباعية ( Distique بيتان من الشعر ) قال له بعضهم ان الله تبارك وتعالى قد اغناك ورزقك رزقاً عظيماً فلما ذا توزعه على الناس ولا تتمتع به . فأجابه انا لا املك الا ما اكلت . ولما وصلت المعرة كان ابو العلاء حياً يرزق .

« كويمات وحماة »

ووصلنا يوم ١٥ رجب ٤٣٨ ه ( ١٥ شباط ١٠٥٧ م ) الى كويمات ثم الى حماة وهي مدينة جميلة آهلة كثيراً بالسكان بنيت على شاطيء نهر العـاصي وسمي هذا النهر بالعاصي لانه يجري الى بلاد الروم ويخرج من بلاد الاسلام ويدخل في بلاد غير المؤمنين فهو بذلك عاص . وقد أقيمت على ضفافه نواعير كثيرة .

ومن حماة طريقان يذهب الواحد الى الشاطيء الغربي من الشـام ويتجه الآخر جهة الجنوب فيصل دمشق وسرنا نحن في الطريق الاول وقد رأينـا في الجبل عيناً اكد لنا بعضهم انها تجري كل سنة ثلاثة ايام بعد اليوم الخامس عشر من شعبان ثم لا يفيض ماؤها الى السنة المقبلة ويزورها عدد عظيم من الزوار يتقربون الى الله بعبادتهم وقد أقيمت في ذلك المكان أبنية عظيمة وحفرت آبار .

« طرابلس الشام »

وبعد ان ابتعدنا عن هذا المكان دخلنا في سهل مغشى على طوله بالنرجس الابيض وقد اضطرتنا كثرته الى السفر فبلغنا عرقة وعلى فرسخين منها وصلنا الى البحر فاتجهنـا الى الجنوب وسرنا خمسة فراسخ الى طرابلس . والطريق من حلب الى طرابلس خمسون فرسخاً . وكان وصولنا الى طرابلس في ٥ شعبان سنة ٤٣٨ . وضواحي طرابلس مغشاة بالحقول المزروعة والبساتين والحدائق . وكان يرى فيها قصب السكر والبرتقال والليمون والموز والنخيل وكان يوم وصولنا موسم عصير قصب السكر . يحيط

البحر بالمدينة من ثلاثة اطرافها وتصل اليها امواجه حال هياجه حتى تبلغ اعلا الاسوار · ويحيط بالقسم الذي يمتد الى اليابسة سور وخندق عظيم · والى جهة الشرق يفتح باب من الحديد صلب للغاية · والجدران وما يتبعها من الاسوار كلها من الحجر النحيت وهناك وضعت المنجنيقات على اعلا الاسوار وكان اهل طرابلس يخشون غارات الروم في سفنهم · ومساحة المدينة الف آرش · وبيوت المدينة ذات اربع وخمس واحياناً ست طبقات · والاسواق والطرق جميلة ونظيفة للغاية · اذا رأيتها ظننتك أمام قصر مزين أجمل زينة · ورأيت في طرابلس جميع اصناف القوت والأثمار وجميع المآكل التي رأيتها في فارس · ولكنها كانت وافرة مئة ضعف ·

والمسجد الاعظم قائم في وسط المدينة وهو جميل للغاية مزدان باحسن زينة ومبني على غاية القوة والمتانة · وفي صحنه قبة عظيمة تعلو حوضاً من المرمر في وسطه فوارة يخرج ماؤها من منقار نحاس اصفر · وفي السوق نبع يخرج ماؤه غزيراً من خمسة انابيب يستقي منها جميع السكان · وما فاض يجري على الرمل ثم يصب في البحر · ويقدر عدد الذكور في طرابلس على ما روي لي بعشرين الف نفس · وفي اعمال طرابلس كثير من القرى ويصنع فيها كاغد جيد يشبه ورق سمرقند الا انه احسن صنعاً · ويتولى امر طرابلس سلطان مصر وقد قيل لي ان ذلك يرد الى العهد الذي جاء فيه الروم من بيزنطية وحاولوا الهجوم على هذا الحصن فدفعهم المسلمون المصريون وردوهم وهزموهم شر هزيمة · وقد ابطل سلطان مصر الضرائب الموضوعة على المدينة ولا يزال ينفق على الحامية التي فيها · وللحامية قائد وُكل اليه امر رد الاعداء عنها · وطرابلس الشام مستودع تجاري ترد اليه السفن من بلاد اليونان والافرنج والاندلس والمغرب · ومن حقوق السلطان جباية العشور التي ينفق منها على الجنود · وللسلطان في طرابلس سفن تذهب الى اليونان وصقلية والمغرب · وسكان طرابلس شيعيون وقد أنشأ الشيعة في كل البلاد جوامع جميلة · ولهم في طرابلس ابنية تشبه الرُبُط ولكنها غير مسكونة · ويسمونها المشاهد · ولا يوجد خارج طرابلس سوى اثنين او ثلاثة من هذه المشاهد ·

✲ ✲ ✲

« القلمون وترابزن وجبيل »

ثم سافرنا من طرابلس جنوباً على شاطيء البحر فوصلنا على مسافة فرسخ الى حصن اسمه القلمون في داخله نبع ماء ووصلنا الى ترابزن ( لعلها البترون ) وهي على خمسة فراسخ من طرابلس ومنها الى جبيل وقد بنيت على شكل زاوية قاعدتها ساحل البحر . و يحيط بها سور عالٍ متين للغاية وقامت حواليها النخيل وغيره من اشجار البلاد الحارة ورأيت ولداً يحمل بيده وردة بيضاء وأُخري حمراء قد تفتحت وكان الوقت في اليوم الخامس من شهر شباط من سنة ٤١٥ للتاريخ الفارسي .

« بيروت »

وسرنا من جبيل الى بيروت وقد رأيت فيها قوساً من حجر والطريق تحته وقدرت ان علوه خمسون كزاً وسمكه بحيث لا يستطيع رجلان ان يحيطا به الا بصعوبة وقد بُني على هذه الدعائم حنايا من الصخر الضخم لا تلتحم اجزاؤها بملاط ولا بجبس وقد قام القوس الاعظم في الوسط و يزيد علوه على الحنايا خمسين ارشاً . وقدرت ان علو كل حجر من الحجارة التي يتألف منها سبعة ارشات في عرض اربعة ووزنه نحوسبعة آلاف منٌ وقد نقشت جميع هذه الاحجار وزينت بنقوش بديعة قلما يشاهد لها مثيل حتى في الصور على الخشب ولم يبق من بناءٍ في جوار هذا المصنع . وقد سألت عن ذلك فأُجبت بان هذا البناء كان باب حديقة فرعون وان تاريخه قديم للغاية . وجميع السهل المجاور له تغشاه عمد وسوارٍ وتيجان منقوشة من الرخام النحيت ومنه المدور والمربع والمسدس والمثمن . والحجر من الصلابة بحيث لا يعمل فيه الحديد وليس في الجوار من جبل حتى يقال انه استخرج هذا الحجر منه . وهناك حجرآخر يظهر انه صنعي والحديد لا يفله ايضاً . وفي ولايات الشام اكثر من خمسمائة الف عمود وتاج وقاعدة وما من يعلم فيم كان استخدامها ولا من اين جلبت .

« صيدا »

ورحلنا من بيروت الى صيدا وهي مدينة على ساحل البحر تحيط بها حدائق واسعة مغروسة بقصب السكر و يحميها سور من الصخر فيه ثلاثة ابواب وجامعها الاعظم جميل وله رواق خاص وارضه مغطاة كلها بالحصر المزينة بالصور المختلفة . والسوق جميل

ومزدان ألطف زينة بحيث ظننت لما رأيته انه زين لقدوم ملك او لوصول نبإ سار . وسألت عن علة هذه الزينة فقيل لي ان هذه عادة المدينة وانها على الدهر متجملة على هذه الصورة .

ويظهر ان الحدائق والبساتين قد قام بغرسها ملك رغبةً منه وفي وسط كل واحد منها بيت وكانت معظم الاشجار ملأىً بالاثمار .

« صور »

ومن صيدا بلغنا صور بعد ان اجتزنا المسافة بينهما في خمسة فراسخ ومدينة صور على شاطئ البحر بُنيت على صخر يمتد في الماء بحيث ان الجزء المحصن من السور القائم على اليابسة لا يكون اكثر من مئة كوز ( Guez ) وسائر السور غائص في الماء معمول من الحجر النحيت ملئت من القطران لتحول دون نفوذ الماء . وأرى ان مساحة بقعة صور الفا ارش مربع والبيوت ذوات خمس او ست طبقات يتصل بعضها ببعض ويرى في اكثرها فوارات والاسواق جميلة وفيها حاجيات الحياة بكثرة واشتهرت صور من بين جميع مدن الساحل الشامي بغناها ونعمتها . ومعظم سكانها شيعة والقاضي رجل غني وذو اخلاق رضية واسمه ابن ابي عُقيل وكان سنيّاً . وفي خارج المدينة مشهد حوى كثيراً من الطنافس والباري والمصابيح والثريات المعمولة من الذهب والفضة . وقد قامت مدينة صور على اكمة ويجري اليها نهر من ينابيع في الجبل أُنشئت له قناة من الحجر في البرية ليسيل فيها . وفي اعلاه قناة تفتح السبيل أمام الماء وأمام صور في الجبال التي ذكرتها يفتح وادٍ اذا سار فيه المرء متجهاً صوب الشرق يبلغ دمشق وهي بعيدة عن صور سبعة عشر فرسخاً .

« عكا »

غادرنا صور وسرنا سبعة فراسخ فبلغنا عكا واسمها في الكتابة الرسمية مدينة عكا . بنيت على اكمة قسم منها وعر والآخر معبّد . وجميع مدن السواحل الشامية مبنية على اماكن مرتفعة لان القوم يخشون ان تداهمها المياه او تضربها امواج البحر التي تتكسر على ضفافه . والمسجد الاعظم وسط المدينة وفي اعلا قمة من المدينة . وقد جعلت السواري التي يقوم عليها من الرخام وفي خارجه على يمين المتجه الى القبلة قام ضريح النبي

صالح عليه السلام وبعض صحن الجامع مبلط والآخر قد ستره العشب · و يزعمون ان هذا الجزء قد حرثه آدم عليه الصلاة والسلام · وقد ذرعت سطح المدينة فكان طولها الفي آرش وعرضها خمسمائة ويحيط بعكا سور متين للغاية و يحيط بها البحر من الغرب والجنوب والميناء في جنوبها ولمعظم مدن ساحل الشام موانٍ و يطلق اسم ميناء على كل خليج بني لتكون فيه السفن بمأمن · و يشبه هذا الجون اصطبلاً يستند حائطه الداخلي الى المدينة وحائطاه الآخران يمتدان في البحر وقد فتح في طرفه مدخل عرضه خمسون كوزاً وله سلسلة مربوطة من احد الحائطين بالآخر · ومتى أريد ادخال سفينة الى الميناء يخفضون السلسلة حتى تنزل الى الماء فتجتاز السفينة عليها ثم يرسلونهـا ثانية حتى لا تنالها مراكب العدو بسوءٍ اذا دهمتها من البحر ·

وعلى مقربة من الباب الشرقي الى اليمين نبع ماء ينزل اليه في ست وعشرين درجة واسمه عين البقر و يزعمون ان آدم عليه السلام اكتشفها وانه كان يسقي منها بقرته ولذلك سميت عين البقر ·

واذا خرجت من عكا واتجهت نحو الشرق تلقى جبلاً دفن فيه انبياء عليهم السلام وهو يرتفع عن طرف الطريق الذي يسيرون عليـه اذا أراد المرءُ الذهاب الى الرملة · وقد عزمت ان اذهب اليه لزيارة هذه القبور وأغتنم البركات التي خصها الباري تعالى بها · وقد ذكروا لي في عكا ان في تلك الطريق اشقياء يسيئون معاملة الغرباء و يسلبونهم مامعهم فخبأت ما كان معي من الدراهم في جامع عكا وخرجت من المدينة يوم ٢٣ شعبان سنة ٤٣٨ هـ (٨آذار ١٠٤٦ م) فزرت في اليوم الاول قبر عك باني مدينة عكا وكان رجلاً صالحاً باراً · ولم استصحب معي دليلاً يهديني الى الطريق فحرت في تعيين الطريق التي يجب سلوكها فقضت حكمة الله تقدس اسمه ان ألقى في ذاك اليوم رجلاً فارسياً اصله من اذربيجان كان زار هذه القبور المباركة وجاء مرة ثانية للتبرك بزيارتها وصليت ركعتين لاشكره تعالى على نعمته التي تفضل بها وسجدت اعترافاً بجميله على ان وفقني الى اتمام القصد ·

وصلت الى قرية اسمها بروة فزرت فيها قبري اليسع وشمعون عليهما السلام ثم سرت الى قرية دمون فرأيت فيها مغارة صغيرة اكد لي القوم انها مغارة ذي الكفل وبعد ذلك قصدت الى قرية عبلين حيث دفن هود وقد قامت عليه شجرة خرنوب وزرت ايضاً قبر

العزير ثم اتجهت صوب الجنوب فوصلت قرية حاضرة وفي غربها واد صغير تنبع منه من الصخر عين صافية وقد بني مقابل هذه العين في الصخر مسجد في داخله غرفتان من الحجر و باب المسجد من الضيق بحيث ان الرجل يدخل اليه بصعوبة وفيه قبران متناوحان احدهما الى جانب الآخر وفي الاول شعيب وفي الثاني ابنته التي كانت امرأة موسى · و يُعنى سكان القرية بهذا المسجد و بهذه القبور كل العناية و يجعلون فيها مصابيح وفرشاً ·

وبعد ذلك اتجهت جهة أربل (او أربد) وفي جهة القبلة جبل قام في سفحه اربعة قبور وهي قبور اربعة من اولاد يعقوب اخوة يوسف · ولما انتقلنا من هذا المكان رأينا اكمة قامت في سفحها مغارة فيها قبر ام موسى وفيها صليت وتعبدت · وتوغلت في واد رأيت في أقصاه بحيرة قامت مدينة طبرية على شاطئها وطول هذه البحيرة نحو ستة فراسخ وعرضها ثلاثة والمدينة على الشاطئ الغربي منها و يصب في البحيرة ماء الحمامات وما فاض من استعمال السكان · ومن البحيرة يستقي اهل طبرية ماء الشفة وكذلك السكان النازلون في جوار البحيرة · وسمعت ان اميراً كان جاء طبرية قديماً فأمر ان تغلق جميع المجاري التي تحمل القاذورات والمياه المالحة الى البحيرة فأنتن الماء حتى لم يعد احد يستطيع شربه · وعندئذ اسال جميع الاقنية فعاد الى ماء البحيرة طعمه اللذيذ الذي كان له سالفاً ·

و يحيط بطبرية سور متين يمتد من شاطئ البحيرة ولا سور للقسم المتصل بالماء من المدينة · ووسط البحيرة صخور وقد بنيت وسط المياه أبنية عديدة وهي عبارة عن قباب للنزهة تقوم على عمد من المرمر غمست في المياه و يكثر السمك في بحيرة طبرية من وراء الغاية · وقد قام المسجد الاعظم وسط المدينة وعلى مقربة منه عين ماء بني عليها حمام وماؤها حار بحيث لا يستطيع المرء ان يصبها على بدنه الا اذا مزجها بماء بارد و يقال ان هذا الحمام من عمل سليمان بن داود عليهما السلام وقد دخلت هذا الحمام · وفي الجزء الغربي من المدينة مسجد اسمه مسجد الياسمين وهو بناء لطيف وفي وسط صحنه سطح عال بنيت فيه محاريب وحوالي هذا السطح غرسوا ياسمين وسمي المسجد باسمه ·

وفي رواق غير مسور من جهة الشرق قبر يوشع بن نون وعلى السطح قبور اثنين وسبعين نبياً قتلهم ابناء اسرائيل · وفي جنوبي طبرية اوجنوبي البحيرة تجري بحيرة لوط وماؤها مر جداً واليها يجري النهر الذي يخرج من بحيرة طبرية وكانت مدينة لوط على

شاطئ تلك البحيرة ولم يبق لها اثر . وبلغني انه يستخرج من قعر بحيرة طبرية مادة في شكل البيضة لونها اسود وتشبه الحجر ولكن ليس لها صلابته فتستخرج وتكسر وتحمل الى المدن والولايات . ويزعمون ان هذه المادة اذا جعلت قطعة منها في جذع شجرة تسلم من الديدان بدون ان تتأثر جذوعها . وبذلك لا تسطو على الغراس الديدان ولا الحشرات التي تعيش تحت الارض . واني لادع تبعة هذه الرواية على ناقلها . وقد ذكر لي راوي هذه القصة ان الصيادلة يبتاعون هذه المادة ويدخلونها في العقاقير لتنجو من دودة اسمها النقرة .

وفي طبرية تعمل حصر تستعمل للصلاة تساوي الواحدة منها خمسة دنانير مغربية . وعلى غربي المدينة قصر من الحجر النحيت على قمة جبل وفيه كتابة بحروف عبرانية وفيه انه حفر يوم كان برج الثريا في آخر برج الحمل . وقبر ابي هريرة خارج المدينة صوب القبلة ولا تمكن زيارته لان سكان هذه المقاطعة شيعة واذا قصد واحد للصلاة يصخب الاولاد عليه ويبنا كدونه ويهينونه ويرشقونه بالاحجار . فعدلت عن هذه الزيارة وذهبت الى قرية اسمها كفر كنة وفي جنوبها تمتد اكمة قام في اعلاها دير جميل له باب متين جداً وفيه قبر يونس وفي خارج الدير بئر لذيذ المذاق من وراء الغاية وبعد ان صليت في هذا المشهد عدت الى عكا البعيدة عن ذلك المكان اربعة فراسخ وقضيت يوماً في عكا ثم سرنا منها الى قرية حيفا وكانت الطريق التي سلكناها مغشاة بطبقة كثيفة من رمل يستخدمه الصاغة في فارس ويطلقون عليه اسم زمل عكا .

قامت حيفا على شاطئ البحر وفيها النخيل واشجار أخرى كثيرة وشاهدت فيها عملة كثيرين متوفرين على انشاء مراكب وتسمي هذه الابنية الخاصة بالملاحة البحرية بالجودي وعلى فرسخ منها قرية الكُنَيِّسة وهناك يبتعد الطريق عن البحر ويتجه نحو الشرق جهة الجبل ويجتاز ارضاً مستوية مصخرة تسمى وادي التماسيح وبعد فرسخين يصير الطريق على الشاطئ حيث رأينا عظام بعض الحيوانات البحرية اختلطت بالطين وضربتها الامواج زمناً فأصبحت صورتها كالحجر .

وصلنا الى قيسارية وبينها وبين عكا سبعة فراسخ وقيسارية مدينة جميلة تشقها المياه الجارية وفيها النخيل والليمون الحلو والمر ويحيط بها سور متين فيه باب من حديد

وفي هذه المدينة كثير من العيون وجامعها الاعظم من اجمل الابنية اذا جلست في صحنه نبصر البحر وما فيه من المناظر وفي الصحن إجانة (دورق) من المرمر يشبه اناءً من عمل الصين وهو من الضخامة بحيث يسع مئة منٍّ من الماء ٠

غادرنا قيسارية يوم السبت آخر يوم من شعبان (١٠ آذار) وسرنا مدة فرسخ على الرمل الذي هو أشبه برمل مكة ثم شاهدنا في الطريق الذي كان تارة في السهل وأخرى في الجبل عدداً كبيراً من اشجار التين والزيتون ٠ وبعد بضعة فراسخ بلغنا مدينة اسمها كفر سابا او كفر سلام وهي على ثلاثة فراسخ من الرملة والاشجار على جانبي الطريق محيطة به كما قدمنا ٠

انتهى بنا أمد السير يوم الاحد اول يوم من شهر رمضان (١١ آذار) الى الرملة وبينها وبين قيسارية ثمانية فراسخ ٠ والرملة مدينة عظمى يحيط بها سور عالٍ متين عمل من الحجر والملاط وهي على ثلاثة فراسخ من البحر وشرب اهلها من مياه الامطار يجمعونه في كل موسم في حوض وعندهم منه مايحتاجونه على الدوام وفي وسط الجامع الكبير صهاريج واسعة اذا ملئت يستطيع الانسان ان يستقي منها بحسب حاجته ٠ ومساحة الجامع الاعظم ثلاثمائة قدم في مائتين ٠ وقد نقش في اعلا الصفة بان الارض زلزلت زلزالاً عظيماً يوم ١٥ المحرم ٤٢٥ (١١ كانون الاول ١٠٣٣) فهدمت عدة أبنية ولم يجرح احد من السكان ٠

والرخام كثير جداً في الرملة وجدران معظم الابنية والدور مغشاة بصفائح من الرخام مرصعة بالنقاش ومغشاة بنقوش ورسوم ويقطع الرخام بمنشار لا أسنان له و برمل تلك البلاد و بالمنشار نقطع قطع من الرخام بقدر طول السواري والعمد كما نقطع الدفوف من شجرة الا من حيث العرض ٠ ولقد رأيت في الرملة رخاماً من كل جنس ومنه المجزع (المبقع) والاخضر والاحمر والاسود والابيض و بالجملة من مختلف الالوان ٠

وفي الرملة يخرج نوع من التين اللذيذ ولا يوجد مثله في بلد آخر ومنها تحمل الى سائر البلدان وتعرف هذه المدينة في الشام والمغرب باسم فلسطين (كذا) انتهى بنا نفس السير في اليوم الثالث من شهر رمضان (١٤ آذار) بعد ان غادرنا الرملة الى قرية

خاطون ( لعلها اللاطرون او النطرون ) ثم الى قرية العنب وقد لاحظنا في الطريق كثيراً من شجر البطم ينبت نباتاً طبيعياً في السهل والجبل . وشاهدنا في قرية العنب عيناً تنبع من صخر وكان ماؤها عذباً طيباً وقد وضعت هناك أجران لسقاية ابناء السبيل وأقيمت مساكن لنزولهم عمرها اهل الخير طلب الثواب .

وبعد قرية العنب يبدأ الطريق بالارتفاع تدريجاً حتى خُيل لنا بعد ان صعدنا الجبل ونزلنا الى الجهة المقابلة اننا وصلنا الى المدينة ولكن بعد ان صعدنا زمناً بلغنا سهلاً عظيماً مستوياً ومعظمه حجري على حين تبدو الارض في الاماكن الاخرى عريانة مجردة وفي اعلا نقطة من هذا النجد قامت مدينة بيت المقدس . وهي على ستة وخمسين فرسخاً من طرابلس على ساحل الشام وعلى خمسمائة وستة وسبعين فرسخاً من بلخ وكان وصولنا القدس في اليوم الخامس من رمضان ٤٣٨ ( ١٦ آذار ١٠٤٦ ) وقد مضت سنة شمسية منذ غادرنا مسقط رأسنا وطفنا المعالم زمناً دون ان نقف في مكان ودون ان ننال الراحة التامة في موضع . ويطلق سكان سورية وفلسطين على مدينة بيت المقدس اسم القدس وكل من يعجز من سكان هذه الارجاء عن الرحلة الى مكة يذهبون الى القدس في موسم الحج ويقيمون فيها خلال الموقف قائمين باعمال الحج محتفلين بعيد الاضاحي . ويجتمع في بعض السنين في الايام الاولى من ذي القعدة اكثر من عشرين الف رجل في هذه المدينة ويأتون معهم باولادهم ليختنوهم . وينزل القدس النصارى واليهود زرافات زرافات من ولايات مملكة الروم والاقطار الاخرى ليزوروا الكنيسة والمعبد . وستجد وصف الكنيسة العظمى في محله .

وتحيط ببيت المقدس جبال تنبت فيها الحبوب وفيها اشجار الزيتون والتين وغيرها وجميع الاراضي خالية من المياه ومع ذلك فان المأكولات كثيرة رخيصة . ومن رؤساء البيوت من لا تقل وارداتهم من زيت الزيتون عن خمسة آلاف منّ ويجعل هذا الزيت في آبار وأحواض وينقل الى اطراف المعمور . ويقال ان المجاعة لم تشتد قط في بلاد الشام . وذكر لي الثقة ان احد الاولياء رأى النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال له : يا رسول الله أعني على العيش فأجابه الرسول ( انا أضمن رزقك من خبز الشام وزيتها ) .

وهاءنذا أصف لك مدينة القدس فهي قائمة على مرتفع وليس فيها غير ماء المطر ولئن كان في بعض القرى المجاورة عيون فليس لها اثر داخل المدينة و يحيط بها سور وثيق البنيان عمل من الحجر والملاط وابوابه من الحديد . واذ كانت المدينة مبنية على الصخر فليس في جوارها مباشرة شجر . وبيت المقدس بلدة عظيمة وكان فيها عندما زرتها عشرون الف رجل واسواقها جميلة وبيوتها عالية وتربتها ممزوجة بالحجارة وقد نحتت الطرق وعبّدت بحيث ان الامطار تنظفها وتغسلها وارباب الصنائع فيها كثار ولكل اهل صنعة في السوق مكان خاص بهم .

والمسجد الاعظم حيث تقام صلاة الجمعة هو الى الشرق من جهة السوق واسوار المدينة عبارة عن حيطانه ومتى خرج المرء من المسجد يرى أمامه سهلاً عظيماً منبسطاً اسمه ساهرة وفي هذا السهل على ما يزعمون تقوم القيامة وتحشر الاجساد و ينصب الميزان وبفضل هذا المعتقد يأتي من جميع اقطار العالم الى القدس جمهور كبير من البشر ينزلونها ليموتوا فيها وليكونوا على مقربة من المكان الذي عينه المولى تعالى وتحقق فيه ارادته . اللهم ياباريء النسم احفظ عبيدك واغفر لهم خطاياهم آمين يا رب العالمين اهـ .






# القائد مالنجو

فقد المجمع العلمي في اليوم الثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٦ احد اعضائه القائد مالنجو (Comd. Malinjoud) وكان من العاملين المخلصين المحبين للعرب والمسلمين الواقفين على كثير من شؤونهم الاجتماعية . قال سعادة الجنرال اندريا قائد جيش دمشق على قبره يوم الاحتفال بدفنه في هذه المدينة : « انه ولد في مدينة الجزائر سنة ١٨٧٣ م وصرف معظم ايام حياته في المستعمرات الفرنسية في افريقية ثم في بلاد الشام فخدم في تونس والجزائر وبلاد الصحراء ودخل في سنة ١٩١١ في دائرة الشؤون الاهلية في الغرب الاقصى فقام باعظم الخدم لاضطلاعه بمعرفة اللغة العربية ، وكان من الرجال الذين أثروا بنفوذهم الشخصي وعملهم الثابت القائم على سمو المدارك — في توطيد دعائم الامن والاخلاص في بلاد مراكش مدة الحرب العظمى ، وجاء الى الشام (سورية) مع أوائل مجيء الجيش الافرنسي فتولى وظيفة مندوب اداري في الاسكندرونة وقام باعبائها على صعوبتها أحسن قيام .

وفي سنة ١٩٢١ عهدت اليه ادارة فرع الترجمة في المدرسة الحربية السورية ، ثم إدارة المدرسة العالية للغة العربية في دمشق فتخرج به كثير من الضباط على ممارسة اللغة العربية . وله كثير من الرسائل والمصنفات في الشعوب الاسلامية وفي الشام الذي كان يحبه ، عدّ بها في الدرجة الاولى بين المستعربين من الافرنسيين . وكان يجتهد ان ينشر بين تلاميذه واصدقائه الكثيرين في الشام معرفة فرنسا وحبها .

وقد داهمه الموت غير راحم له في أشد ما يكون من عمله فطنيء وهو يعمل ويجد تاركاً وراءه اسفاً عظيماً في قلوب كل من عرفوه وقدروا أعماله قدرها . واني لانحني معكم أيها السادة أمام هذا القبر لأحيي افرنسياً صالحاً وصديقاً عظيماً للمسلمين » .

هذا ما قاله قائد الجيش الافرنسي وفيه ترجمة حياة الاستاذ مالنجو السيفية ، اما حياته القلمية فقائمة باحسان الترجمة من اللغتين العربية الى الافرنسية وتسهيل طريقة تعلم الافرنسية على العرب وتعلم العربية على الفرنسيس فأخذ عنه هاتين اللغتين عشرات من ابناء الامتين في مدة وجيزة . وكان له غرام باللغة العربية العامية كاله غرام باللغة

الفصحى وقد نشر لتعلم العامية كتاباً سماه «الدليل» في مجلدين لطيفين وله عدة مقالات في الصحف والمجلات تدل على اجتهاد متواصل وكان ممن يقول بان المدنيتين العربية والافرنسية يمكن اجتماعهما من طريق العلم ، والاجتماع من هذا الطريق اجمل اجتماع وأعوده بالفائدة على الامتين ، وكان يتلطف في بث ما يريد بثه بين تلاميذه من الافكار التي يعتقد صحتها وغناءها دون ان يجرح عاطفة احد وله حرص على تعليم الناشئة الاسلامية اشتهر عنه وعُرف به . وما المدرسة العليا للغة العربية في حاضرة الأمو بين الأثر اجتهاده وجلادته . وكانت له صلات مستديمة مع كبار علماء المشرقيات في فرنسا والجزائر ولذلك يعد المجمع العلمي فقده خسارة عليه وعلى الادب العربي .

وقد انتدب المجمع العلمي احد اعضائه الاستاذ السيد انيس سلوم لتأبينه في المقبرة ساعة دفنه فذكر من صفاته الحسنة وبلائه في خدمة العلم والآداب ونشر اللغتين الجميلتين — اموراً كثيرة . ومما قاله ان الفقيد العزيز كان متحلياً باجمل الصفات ، فكان متواضعاً لطيفاً كثير الجلد والدأب والنشاط وكان يحترم الآخرين ولاسيما العلماء و يبذل جهده في توثيق عرى الاتحاد بين الامتين الافرنسية والسورية من طريق العلم ولطالما آزر المجمع العلمي بقلمه وعلمه وغيرته فدل على نفس كريمة تحب الخير وتتناغى بالفضائل . فلا غرو ان عدت وفاته خسارة عظيمة على المجمع العلمي كما حسب فقده خسارة على آله وصحبه واصدقائه الكثيرين .

وقد خطب على قبره الاساتذة السادة نزيه الزعبي وابو الخير القواص والدكتور جود ومما قاله هذا مخاطباً الفقيد وكان رفيق صباه منذ عشرين سنة : لقد سعيت بجد وراء التوفيق وتحقيق الاتحاد في هذا الشرق المضطرب حيث يسود عدم التفاهم فنصحت للجميع ان لا يتسرعوا في امورهم وان لا يبنوا احكامهم على الظواهر حاثاً اياهم على درس المسائل فيما بينهم درساً دقيقاً بكل روية وامعان . أليس اذا درس الافرنسي اللغة العربية والسوري الافرنسية يصبح بامكانهما ان يتعارفا ومتى حصل التعارف يقتربان ويتصاحبان لان الجهل هو آفة الآفات ومصدر البغضاء والحروب » .

فالمجمع يشارك أصدقاءه وتلاميذه في الاسف عليه رحمه الله . م . ك

# آراء اناتول فرانس(١)

— ١ —

« من أعمال البشر كلها احد عاملين : الجوع والحب · لقد علّم الجوع المتوحشين ان يقتلوا وان يخوضوا غمار الحروب والغارات · اما الشعوب المتمدنة فهي ككلاب الصيد : تهيجهم غريزة فاسدة الى الهدم بلا سبب اوجدوى · وبدعى جنون الحروب الحديثة مصلحة ملكية · اومبدأ قوميات · اوتوازناً اوربياً · اوشرفاً · ولعل هذا العامل الاخير أبعدها عن المعقول ، اذ ما من أمة الا احتملت كل المهانات التي قدر لجماعة من الناس ان تنزل بساحتهم وعلى كل ان كانت لا تزال عند الشعوب بقية شرف فأعجب الوسائل الى صيانتها إشمال نار الحرب : اي ارتكاب كل الجرائم التي تعرّي الفرد من شرفه : الحرق والنهب والقتل وهتك الاعراض · اما الاعمال التي يوحي بها الحب فهي عنيفة جنونية فظيعة بقدر الاعمال التي يوحي بها الجوع حتى يحق القول ان الانسان وحش شرّير ·

— ٢ —

لا اعتقد ان البشر أخيار بالفطرة · وأرى انهم على الضد من ذلك ، لا يخرجون من وحشيتهم الاولى الا ببطء وجهد ، لينظموا نظامي عدل غيرا كيد وخير غير دائم ، ولا يزال بعيداً الزمن الذي يصبحون فيه وادعين يعطف بعضهم على بعض · ولا تقاتل أمة منهم أمة بل تخبأ الصور التي تمثل الحروب لانها منافية للأخلاق الحسنة يخجل منظرها الناظرين · وأرى ان ملكوت العنف سيدوم طويلاً · وان الشعوب لن يكف احدها عن تمزيق الآخر لأسباب تافهة · وان ابناء الشعب الواحد سيسلب بعضهم بعضاً القوت الضروري بدلاً من ان يتقاسموه قسمة عادلة · ولكني على يقين من ان البشر أقل وحشية وفظاظة اذا كانوا أقل بؤساً وشقاء ، وان ترقي الصناعة سيؤدي في النهاية الى تلطيف الطباع · لقد قال لي عالم نباتي ان شجر البوت اذا نقل من ارض جرداء الى ارض خصبة تبدل بشوكه زهراً ·

(١) منتخبات من كتيّب وقع في ١٤٣ صفحة صغيرة ترجمة السيد عمر الفاخوري مصدرة بمقدمة للاستاذ السيد أمين الريحاني قدمته مجلة منيرفا هدية الى مشتركيها ·

— ٣ —

ليس موضوع الفن الحقيقة . ينبغي ان تُطلب الحقيقة في العلوم لان موضوعها الحقيقة ولا ينبغي ان تطلبها في الأدب الذي لا يصح ان يكون موضوعه شيئاً غير الجمال .

— ٤ —

ليست الحقائق العلمية محبّبة الى قلوب العامة . فان الشعوب تحي بالميثولوجيا وتتناول من الاساطير كل مبادي العرفان التي تحتاج اليها . وقليلة ما هي : ان بضع اكاذيب كافية لاسعاد ملايين من الناس و بالجملة ليس للحقيقة سلطان على البشر ولو كان لها سلطان لكان هذا مدعاة أسف لان الحقيقة مضادة لطبيعتهم بقدر ما هي مضادة لمصالحهم .

— ٥ —

اكثر ما يتنازع الناس على ألفاظ . ومن اجل ألفاظ يقتلون ويُقتلون بطيب خاطر .

— ٦ —

يثور المرء اذا غُلِب . اما الغالبون فلا يكونون عصاة ثائرين .

— ٧ —

كل ذي حياة غذاء لمن يجيء بعده . والعربي الذي يبني كوخه برخام هيا كل تدمر أعقل من كل حفظة المتاحف في لندن وباريس ومونيخ .

— ٨ —

هل يوجد تاريخ منصف ؟ بل ما التاريخ ؟ هو تمثيل الحوادث الماضية بالكتابة . ولكن ما الحادث ؟ أهو اي حادث كان ؟ كلا بل هو حادث جدير بان يذكر . كيف يحكم المؤرخ على الحادث بانه جدير ام غير جدير بالذكر ؟ يحكم المؤرخ اعتباطاً بفعل ذائقته وطبعه ورأيه اي بصفته فناناً . ذلك ان الحوادث ليست بطبيعتها على نوعين : الحوادث التاريخية والحوادث غير التاريخية . ثم ان الحادث شيء عويص مركب فهل ينقل المؤرخ الحوادث كما هي في تركيبها ؟ هذا مستحيل فانه يعرضها مجردة من كل الخصائص التي تقوم بها ناقصة مشوهة مختلفة عن حقيقتها اما علاقات الحوادث فيما بينها فالأفضل ان لا نذكر عنها شيئاً : اذا كان الحادث الذي يسمى حادثاً تاريخياً

ناشئًا — وهو الاقرب الى التصديق — عن حادث او عن بضعة حوادث غير تاريخية ، اذاً مجهولة ، فكيف يستطيع المؤرخ ان يعيّن الصلة بين هذه الحوادث في تسلسلها ؟ واني لأفترض فيما أقوله الآن ان المؤرخ ينظر في شهادات صحيحة ثابتة على حين انه بالحقيقة مخدوع في اكثر الأحوال ، وانه لا يثق بهذا الشاهد او بذاك الا لدواعٍ عاطفية . ليس التاريخ بعلم بل هو فن ولا ينجح فيه الا صاحب المخيلة .

— ٩ —

ينسخ المؤرخون بعضهم عن بعض فيكفون انفسهم العناء ولا يُتّهمون بالغرور . اقتدِ بهم ولا تكن مبتكراً : فان المؤرخ المبتكر موضع ريبة واحتقار واشمئزاز عند الناس كافة .

— ١٠ —

لا تدوم الممالك بحكمة بعض الوزراء ورجاحة عقولهم بل بحاجة الملايين من الناس الذين يحترفون لكسب معاشهم ضروب الحرف الدنيئة كالصناعة والتجارة والزراعة والجندية والملاحة . فان هذه الصغائر هي التي تؤلف ما يسمونه : عظمة الشعوب ، وليس فيها للأمير ووزرائه ادنى نصيب .



— ١١ —

الحقيقة هي ان الحرب من لوازم الطبيعة الانسانية وانه يتعذر تصور شعوب لا يحارب بعضها بعضاً أعني لا يكونون قتلة نهّابين محرقي القرى كذلك يتعذر تصور ملك او امير ليس بمغتصب وان قليلاً ، لئلا يُزدرى ويلام على زهده في المجد أشد اللوم . الحرب اذاً ضرورية للانسان بل هي ألزم لطبعه من السلم الذي لا يكون الا فترة او هدنة . لذلك كنا نرى الملوك والامراء يقذفون جيوشها بعضها ببعض لشر العلل وأتفه الاعذار فيتوسلون الى الحرب بشرفهم ، ويا لله ما أدقه وأسرع انفعاله : يكفي نفخة ضعيفة لإحداث لطخة لا تغسل الا بدم عشرة او عشرين او ثلاثين او مئة الف رجل ، على نسبة عدد السكان . ومهما أطلنا الروية فلن نفهم كيف يُغسل شرف الامير بدم هؤلاء المساكين ، ولكننا نعلم ان هذه الالفاظ خلو

من المعنى ، وان الناس يقدمون على الموت ، غير وجلين من أجل ألفاظ . وثمه ما هو أعجب فان الامير يصيب فخراً عظيماً من سرقة ولاية . واذا كان التعدي الذي يأتيه فرد جريءٌ جزاؤه الموت فهو امر ممـدوح اذا قام به الملك بمعونة جنوده المرتزقة مظهرين فظاعة لا مثيل لها .

— ١٢ —

ما التاريخ مجموعة أقاصيص اخلاقيـة او مزيج من الحوادث والخطب البليغة حسبما يكون المؤرخ فيلسوفاً او واعظاً . قد توجد فيه قطع بيانيـة جميلة ولكن لا ينبغي ان نلتمس فيه الحقيقة ، لان الحقيقة هي في اظهار مابين الاشياء من نسب لازمة ، ولا سبيل الى اثبات هذه النسب لان المؤرخ عاجز عن اتبـاع سلسلة العلل والمعلولات . انظر : كلما كانت علة الحادث التاريخي من حادث غير تاريخي فان علم التاريخ لا يراها . ولما كان بين الحوادث التاريخية والحوادث اللاتاريخية صلة مكينة نتج عن هذا ان الحوادث لا تتسلسل في التواريخ تسلسلاً طبيعياً بل ترتبط بروابط بيانيـة صنعية ليس الا . كذلك لا يعزب عن فكرك ان المؤرخين يميزون بين الحوادث التي تدخل في التـاريخ والحوادث التي لا تدخل فيه الا اعتباطا . ليس التاريخ اذاً بعلم لانه مقضي عليه بعيب في طبيعته ان يلزمه غموض الكذب وان يعوزه السياق والاتصال اللذان لا معرفة حقيقية بدونهما . كذلك لا يمكن ان تستخرج من اخبار الامم وسيرها اقل دلالة يرجم بها عن مستقبلها . ولما كانت خاصة العلوم التنبؤ والاخبار عن الحوادث الآتية كما هو مشاهد في الالواح التي تعين فيهـا بالحساب الاهلة ومد البحر وجزره والكسوفات قبل وقوعهـا ، فقد أثبتنا ان التاريخ ليس بعلم لان الثورات والحروب لا تضبط بحساب .

— ١٣ —

على مَ تؤلف تاريخاً ? اذ ليس عليك الا ان تنسخ من اشهر كتب التاريخ كما هي العادة . ان كان عندك فكر جديد ورأي خاص ، او كنت تظهر الناس والاشياء من وجهة غير مألوفة ? فانك اذاً تباغت القـارئ ، والقارئ لايحب ان يُباغَتَ .

هو لايلتمس في التواريخ الا الحماقات التي يعرفها . فاذا اجتهدت بتعليمه كانت ثمرة جهدك انك حقرته في عين نفسه فأغضبته . لاتحاول إنارة فكره والا صرخ قائلا : انك تسفه عقائده .

— ١٤ —

التغيير شرط جوهري في الحياة . والمدن كالناس تبقى مازالت متغيرة متطورة .

— ١٥ —

ان الحرب اليوم هي عار الانسانية وكانت من قبل فخرها . لقد اوجبتها الضرورة على الممالك فكانت مربية النوع البشري الكبرى . فيها مارس ابناء آدم الفضائل التي تشاد عليها الحضارات وتدعم بها قواعدها : علمتهم الصبر والحزم والاستهانة بالمخاطر ومجد التضحية . ويوم دحرج الرعيان قطع الحجارة الضخمة ليبنوا منها سوراً يحامون وراءه عن نسائهم وثيرانهم — أنشئ أول مجتمع انساني وضمن ترقي الصناعات . وهذا الخير العظيم الذي ننعم به اعني الوطن او المدنية او ذلك الشيء الجليل الذي عبده الرومان ورفعوه فوق الآلهة انما هو ابن الحرب .

— ١٦ —

ينعم المرء اذ يعيش بمخيلته في الماضي نعيم الشعراء ولكن فلنعلم ان سحر الماضي ليس الا من أحلامنا وان العصور الغابرة التي ننشق عرفها بلذة كان لها في جدتها ما لكل الاشياء التي تجري في وسطها الحياة الانسانية : من طعم عادي داع الى الحزن .

— ١٧ —

كبار الشعراء هم لكل الناس . اما صغارهم فأحق بالغبطة ايضاً لان شعرهم لذة المترفين الذين لا يقنعون بما يقنع به العامة .

— ١٨ —

لا يستطيع احد ان يجزم بان المذهب الذي تبدو في النتائج الاولى اضراره ومساويه لن يكون في الغد نافعاً كثير الخيرات . فكل الافكار التي يقوم المجتمع عليها اليوم كانت ضارة متلفة قبل ان تصبح واقية محسنة . وباسم المصالح الاجتماعية

التي يتوسل بها ( المسيو برونتيار ) حوربت في الماضي مبادئ التساهل والانسانية زمناً طويلاً ٠

— ١٩ —

متى يشتبك البيض بالصفر او بالسود يجدوا أنفسهم مكرهين على إبادتهم اذ لا يُغلب المتوحشون الا بتوحش بالغ الاتقان ٠ وهذا هو الحد الذي تنتهي عنده المشاريع الاستعمارية كلها ٠

— ٢٠ —

لا مراء في انه ستقع ايضاً حروب كثيرة فان الغرائز الوحشية والاطماع الفطرية والكبرياء والجوع التي أقلقت العالم خلال عصور متطاولة ستستمر على إقلاقه ايضاً ٠ وهذه الكتل البشرية الكبرى الآخذة اليوم في التألف لم تجد بعد قاعدتها ولم توفق الى توازنها ٠ كذلك فان تداخل الشعوب بعضها في بعض لم ينتظم الانتظام الكافي لضمان الرفه العام بحرية المبادلات و يسرها كما ان الانسان لم يصبح بعد محترماً في نظر الانسان ولم تتساو أجزاء البشرية في دنوها من روح الاشتراك والتعاون لتكون جميعاً كالحجيرات والاعضاء في الجسد الواحد ٠ وليس بمقدر حتى لأحدثنا سناً ان يشهد ختام عهد السلاح ٠ بيد ان تلك الايام السعيدة التي لم نعرفها نحن نحس بمجيئها ٠ فاذا مددنا الى عالم الغيب هذا الخط الذي نرى بدايته كان في وسعنا ان نرى مواصلات اوفر وا كمل بين الامم والشعوب ، وشعوراً اعم واقوى بالتضامن الانساني ، وتنظيماً افضل للعمل ، و بالنهاية قيام « الدول المتحدة » في العالم باسره ٠ وستحقق السلم العام ذات يوم لا لأن البشر يصبحون خيراً مما كانوا ( هذا لم يؤذن لنا ان نرجوه ) بل لان نظاماً شديداً للاشياء ، وعلماً جديداً وضرورات اقتصادية جديدة ستلزمهم بحالة السلام كما كانت ضرورات الحياة في الماضي ترميهم في حالة الحرب وتبقيهم فيها ٠

— ٢١ —

يلوح لي ان الانسان انما يشقى لافراطه في اجلال نفسه وفي الثقة بالناس ٠ فلو كان رأيه في الطبيعة البشرية اصح واقرب للتواضع لاصبح في احكامه على نفسه وعلى الناس ارق واحلم ٠

— ٣٢ —

سآمة الشعراء سآمة مذهبة فلا تفرطوا في الرثاء لهم : ان الذين يغنون قادرون على ان يسحروا بأسهم . ولا سحر اقوى من سحر الكلام . والشعراء كالاطفال يعزّون انفسهم بالصور .

— ٣٣ —

العمل يجعل الحياة سعيدة أحياناً ، ومحتملة دائماً .

# مطبوعات حديثة

## اصلاح الفاسد من لغة الجرائد

( لغة الجرائد ) : عنوان مقالات كان ينشرها العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضيا ينتقد فيها كلمات للكتاب والمنشئين وأساليب لهم غير منطبقة على أصول اللغة وقواعدها . وقد أجاد رحمه الله في ما كتب وأفاد . ثم ان تلك المقالات جمعت بشكل كتاب وسمي ( كتاب لغة الجرائد ) . واتفق في المدة الاخيرة ان وقعت نسخة من هذا الكتاب بيد الاستاذ اللغوي المشهور السيد محمد سليم الجندي فكان وهو يتصفحه يرى فيه بعض مالا يصح موآخذة العلامة اليازجي به فرأى ان يكتب مقالات ينتقد فيها ما لاح له من أغلاط لغة الجرائد . فكتبها ونشرها في جريدة (الفيحاء) التي تصدر بدمشق . وقد كبر الامر على احد عشاق اليازجي وهم كثيرون ونحن منهم فتصدى للرد على الاستاذ الجندي . ولا يخفى ان الاستاذ الجندي عضو في مجمعنا العلمي كما أن الذي رد عليه عضو في المجمع ايضاً ( وهو السيد قسطاكي الحمصي ) الاديب الحلبي المشهور .

ولا يُستغرب ان يخطئ العلامة اليازجي فيما كتبه في لغة الجرائد كما لا يستغرب ان يتصدى الاستاذ الجندي لنقده ثم لا يستغرب ايضاً ان يخطئ الجندي في نقده هذا كما لا يستغرب ان ينتبه السيد قسطاكي الى بعض خطأ الجندي فيتصدى للرد عليه — كل ذلك غير مستغرب . ولا هو بموضوع عجب . وانما الغريب ان يبدر من السيد

— ٢٢ —

سآمة الشعراء سآمة مذهبة فلا تفرطوا في الرثاء لهم : ان الذين يغنون قادرون على ان يسحروا بأسهم . ولا سحر اقوى من سحر الكلام . والشعراء كالاطفال يعزّون انفسهم بالصور .

— ٢٣ —

العمل يجعل الحياة سعيدة أحياناً ، ومحتملة دائماً .

## مطبوعات حديثة

### اصلاح الفاسد من لغة الجرائد

( لغة الجرائد ) : عنوان مقالات كان ينشرها العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضيا ينتقد فيها كلمات للكتاب والمنشئين وأساليب لهم غير منطبقة على أصول اللغة وقواعدها . وقد أجاد رحمه الله في ما كتب وأفاد . ثم ان تلك المقالات جمعت بشكل كتاب وسمي ( كتاب لغة الجرائد ) . واتفق في المدة الاخيرة ان وقعت نسخة من هذا الكتاب بيد الاستاذ اللغوي المشهور السيد محمد سليم الجندي فكان وهو يتصفحه يرى فيه بعض ما يصح موآخذة العلامة اليازجي به فرأى ان يكتب مقالات ينتقد فيها ما لاح له من أغلاط لغة الجرائد . فكتبها ونشرها في جريدة (الفيحاء) التي تصدر بدمشق . وقد كبر الامر على احد عشاق اليازجي وهم كثيرون ونحن منهم فتصدى للرد على الاستاذ الجندي . ولا يخفى ان الاستاذ الجندي عضو في مجمعنا العلمي كما أن الذي رد عليه عضو في المجمع ايضاً ( وهو السيد قسطاكي الحمصي ) الاديب الحلبي المشهور .

ولا يُستغرب ان يخطئ العلامة اليازجي فيما كتبه في لغة الجرائد كما لا يستغرب ان يتصدى الاستاذ الجندي لنقده ثم لا يستغرب ايضاً ان يخطئ الجندي في نقده هذا كما لا يستغرب ان ينتبه السيد قسطاكي الى بعض خطأ الجندي فيتصدى للرد عليه — كل ذلك غير مستغرب . ولا هو بموضوع عجب . وانما الغريب ان يبدر من السيد

قسطا كي بك — وهو مؤلف كتاب في النقد مشهور — كلمات تشعر بانكار أن يقوم مثل الجندي فيخطّئ مثل اليازجي — لا جرم ان رصيفنا السيد قسطاكي لم يصب في انكاره هذا بل ان اليازجي نفسه لو كان حيًا لما وسعه الا ان يكون معنا في تخطئة السيد قسطاكي . وهذا هو المعهود من أخلاق اليازجي ولين جانبه وفرط تواضعه رحمه الله . أما رصيفنا الآخر السيد الجندي فانه لم يطق صبراً على دعوى رصيفه السيد قسطاكي . ولم يتسع صدره لما بدر منه من الانكار عليه فكتب مقالات متسلسلة في مناقشة السيد قسطاكي فيما انتصر به للمرحوم اليازجي . وقد نشر مقالاته في إحدى جرائد دمشق . ثم عاد فجمعها في شكل كتاب بلغ نحو (١٥٠) صفحة . وسماه ( اصلاح الفاسد من لغة الجرائد ) . وقد ادرك القارئ مبلغ الفائدة التي تضمنها هذا الكتاب في علم اللغة والأدب . كيف وابطال البحث فيه هم من خيرة علماء عصرنا الذين أخصوا في آداب لغتنا العربية لولا بعض كلمات اوهنات . تخللت تلك المناقشات . كنا نود لو تنزهت عنها . وموضوعات البحث بلغت ثلاثين موضوعاً ونيفاً . من ذلك كلمة (ضوضاء) أمؤنثة هي ام مذكرة ؟ وكلمة غير هل يصح دخول (أل) عليها او لا ؟ و(مشهور) هل يصح جمعه على مشاهير ؟ و (خصم) هل يجمع على اخصام ؟ وهل يقال امر هامّ اوهمّ ؟ وتعرف الى فلان او بفلان ؟ وهل ورد في فصح اللغة أغاظه وأشغله وأرعبه من الرباعي او لم يرد ؟ في نظير ذلك من المباحث التي يحرص على مثلها عشاق اللغة . والمولعون بآدابها . فنشكر للرصيف الجندي هديته . ونقدر له عنايته بخدمة لغتنا الشريفة . كما لا نبخس رصيفنا الآخر السيد قسطاكي حقه من الثناء والتقريظ فان الرصيفين المتناظرين فرسا رهان . وفي خدمة اللغة العربية أخوان . رضيعا لبان .

المغربي

## قصر آل العظم في دمشق

هي رسالة في ٢٤ صفحة نشرها رصيفنا الاستاذ السيد عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المشرق اولاً ثم أخرجها كراسة برأسها . وقد صدرها بمقدمة في آل العظم ورجح عروبة هذه الأسرة استناداً على ما قاله الشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في

تاريخه المخطوط في مصر بعد سنة ١١٠٠ هـ وقد ذكر وفاة احدهم فقال : « ان هذا اللقب من الدولة وانما اصلهم عربان من بادية الشام » . وقد اقتبس صديقنا ما قاله ابن بدير الحلاق في يومياته عن قصر اسعد باشا العظم في دمشق وكيف عُمّر ، وما قاله احد احفاد البستاني خليل بك العظم في وصفه من رسالة الى غير ذلك من الفوائد التي اعتاد الاستاذ الباحث ان يتحف بها عالم الادب والتاريخ . م . ك

## فتح مصر الحديث

— او —

« نابوليون بونابرت في مصر »

( تأليف احمد حافظ بك عوض صاحب جريدة كوكب الشرق طبع في مطبعة )
( مصر سنة ١٩٢٥ ص ٤٣٨ )

مؤلف هذا الكتاب من رجال النهضة المصرية الحديثة معروف بآثاره النافعة عند قراء العربية بما نشره من بنات افكاره وعرّبه عن اللغات الافرنجية خلال حياته الصحافية المملوءة بالفوائد الممتعة . وكتابه هذا في موضوع طريف كتبه على أسلوب النقد التاريخي باسهاب ملذ خالف فيه سنة اكثر مؤرخي العرب وتابع فيه طريقة المؤرخين من الافرنج معتمداً فيه على مصادر افرنجية مهمة ومصادر عربية للمؤرخين العربيين المعاصرين لتلك الحوادث وهما عبدالرحمن الجبرتي ونقولا الترك ونقد بعض ما روياه ورواه المؤرخون من الافرنج في حملة نابوليون على مصر وما وقع من الحوادث المؤلمة في فتحه وما ادخله من الانظمة والقوانين والاصلاحات العمرانية الجديدة وما جدّ من الاحوال في حملة نابوليون على الشام والسبب في إخفاقه فيها على عكا وماعملته الدولة العثمانية وانكلترا وغيرهما من الاعمال لوضع حدّ لهذه الحملة الافرنسية . ومن اجمل فصول الكتاب فصل اسمه « سياسة الانشاء للبقاء » ذكر فيه ماعمله نابوليون لانشاء المجمع العلمي المصري الذي لا يزال الى اليوم سائراً في الخطة التي اختطها له هذا الفاتح العظيم من خدمة العلم والآثار والتاريخ قال المؤرخ في خاتمته « ... ان العمل العلمي الذي قام به رجال البعثة العلمية من بحث وفحص وتأليف وتصوير . قد

غطى على تلك العيوب وابقى الى اليوم اثراً علمياً فاخراً باهراً ، ان لم يكن قد افادنا من وجهة مباشرة فائدةً مادية علمية وحتى وان لم تستفد منه فرنسا ماأملته الاان ذلك لايمنع من الاعتراف بانه عمل تطأطئ أمامه الرؤوس إجلالاً واكباراً .. » فنثني على همة صديقنا في معالجة كل موضوع ينفع مصر ، ونعجب بتبريزه في فهم روحها ونفسيتها فهماً يغبط عليه ، ونرجو ان تدوم له هذه الهمة الشماء في خدمتها فان خدمتها خدمة لجميع بلاد العرب على الاطلاق .

م . ك

## نظرة تاريخية

« في حدوث المذاهب الاربعة وانتشارها »

هذه الرسالة لمؤلفها العلامة المحقق الاستاذ احمد تيمور باشا كان كتبها مقالات متفرقة في مجلة (الزهراء) ثم جمعت على حدة بشكل رسالة لطيفة الحجم بلغت صفحاتها (٤٥) صفحة وطبعت في المطبعة السلفية . وهذا البحث يهم كل مؤرخ وكاتب اجتماعي يلذ له الوقوف على اصول التشريع الاسلامي وتطوره وكثرة أئمته والمقارنة بينهم ثم كيف كان الظهور والغلبة لارباب هذه المذاهب الاربعة وحدها وهم الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ونقصي الاسباب التي جعلت هذه المذاهب تنتشر وتحيا بينما المذاهب الاخرى تموت وتخفى . ومن فوائد هذه الرسالة ان مؤلفها ذكر إحصاءً تقريبياً لاتباع هذه الاربعة المذاهب في مختلف أقطار العالم الاسلامي معتمداً في ذلك على أصح المصادر الافرنجية . كما كان اعتماده في الكلام على المذاهب — على أهم الكتب المطبوعة والمخطوطة في هذا الشأن . وعلى الجملة فان البحث ممتع مفيد قل من يجيد فيه إجادة مؤلفه فالشكر له على مساعيه الجمة . في خدمة العلم والامة .

*



## هدية

أهدى الاديب السيد حسام الدين الكزبري الى المجمع العلمي تسع رسائل خطية منها : (١) شرح غرامي صحيح للاشبيلي تأليف يحيى بن عبد الرحمن الاصفهاني المعروف بالقرافي من علماء القرن العاشر . (٢) إجازة للشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري في الطريقة الشاذلية من السيد محمد تقي الدين كتبت سنة ١٢٠٧ . (٣) رسالة في الفروع مأخوذة من صحيح البخاري للشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني بخط محمد بن عبد القادر المجذوب سنة ١٢٩٨ . (٤) براءة من السلطان محمود الى الشيخ محمد مسلم الصمادي الادهمي بتوليه القضاء بدمشق سنة ١١٦٧ . (٥) براءة من السلطان سليمان الى الشيخ محمد الكزبري بتدريس ثلاثة اشهر رجب وشعبان ورمضان في جامع بني أمية بدمشق سنة ١١١١ احدى عشرة ومائة والف . (٦) صورة وقفية آمنة خانم بنت المرحوم الحاج سليمان باشا على مدرس مدرسة والدها مع بيان اقلام الوقف كتبت سنة ١١٨٢ . (٧) كتاب من مصطفى عبد الله اغا سردار الى الشيخ سعيد الكزبري كتبت سنة ١٢٣٣ يعلم منه حالة الانشاء والخط في ذلك العصر . (٨) براءة ايضاً من السلطان محمود الاول الى صفية خانم بنت نصوح باشا كتبت سنة ١١٤٤ . (٩) إجازة من الشيخ احمد البقري من علماء الازهر بالقراآت السبع من طريق الشاطبية الى الزين علي بن احمد الدمشقي الشهير بابن كزبر كتبت سنة ١٢١١ تضمنت سلسلة شيوخ القراء وبعض مسائل تتعلق بفن القراآت . فالمجمع العلمي يشكر للمهدي هذه الاريحية على هديته . ☆



## التذمر من الدهر

( الوزير المغربي ) هو وأسرته من رجال الدولة الفاطمية ثم لما قتل الحاكم اباه واخوته خرج من مصر وجعل يكيد للحاكم ثم تولى الوزارة لآل بويه حتى توفي سنة ٤١٨ هـ · ولما خرج من مصر وضرب في البلاد كان معه غلام يخدمه اسمه داهر فقال متذمراً من غربته وفراق أحبته ومعاشرة هذا الغلام · الكثير الكلام ·

( كفى حزناً أني مقيم ببلدة    يعللني بعد الأحبة داهر )
( يحدثني مما يجمع عقله    أحاديث: منها مستقيم وجائر )

وقد حذا حذوه في هذا التذمر والشكوى (ابو المجد المعري) وهو ابن اخي ابي العلاء حكيم المعرة · وقد كان ابو المجد قاضياً فيها الى ان دخلها الصليبيون سنة (٤٩٢) هـ فنزح عنها وأقام بشيزر ضيفاً على أمرائها آل منقذ ثم لجأ الى حماه الى ان مات سنة (٥٢٣) عن ثلاث وثمانين سنة قال الامير (أسامة بن منقذ) : لما فارق ابو المجد اهله بالمعرة بقي منفرداً في غربته لا مؤنس له سوى غلام اسمه ( شعيا ) فقال نادباً سوء حظه وما يلقاه من معاشرة ( شعيا ) غلامه ·

( زمان غاض اهل الفضل فيه    فسقياً للحمام به ورعيا )
( أسارى بين أتراك وروم    وفقد أحبة ورفاق شعيا )

اما أسامة بن منقذ صاحب قلعة شيزر الذي روى لنا خبر ( ابي المجد المعري ) فانه نزل به ايضاً من الغربة ومفارقة الأهل والوطن ما نزل برفيقيه فانه لما جلا عن بلده شيزر نزل دمشق ثم فارقها الى مصر حتى ملك السلطان صلاح الدين فاستدعاه الى دمشق وهو شيخ قد جاوز الثمانين · قال العماد الكاتب : وكنت أتمنى ابداً لقياه · واشيم على البعد حياه · حتى لقيته في صفر سنة ٥٧١ هـ ثم مات سنة ٥٨٤ هـ ودفن شرقي جبل قاسيون قال ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه · حكى أسامة عن نفسه قال : « ولما بليتُ انا بفرقة الأهل كتبت الى اخي استطرد بغلامَي ابي المجد والوزير المغربي اللذين ذكراهما في شعر يهما فقلت :

( أصبحت بعدك يا شقيق النفس في    بحرٍ من الهم المبرّح زاخر )
( منفرداً بالهمّ مَنْ لي ساعة    برفاق (شعيا) او علالة ( داهر )

# التنبيه

## على غلط الجاهل والنبيه

## — ٣ —

### ﴿ فصل الهمزة ﴾

فاعلم ان من جملة ما يلحنون فيه ( فيما فاؤه همزة ) لفظ ( الإِباء ) يزيدون فيه ياء فيقولون ( إِيباء ) وكأنهم يظنونه من الإِفعال . وقد نظمت في هذا ما يدلهم على الصواب . ويعيّن بابه من بين الأبواب . فقلت :

( أخو الجهل الموقّر لا يبالي أينطق بالخطا ام بالصواب )
( وأما من له عقل سليم أبى يأبى إباءً فهو آبي )

ومنها لفظ ( الإِباق ) يزيد فيه اكثر الناس تاء فيقولون ( الإِباقة ) زعماً منهم ان اللفظ من باب الإِفعال . وقد غيره الإِعلال كالإِفاقة مثلاً . لكنه من الثلاثي والهمزة أصلية . قال في الصحاح أَبَق العبد يأْبِقُ ( بكسر الباء وضمها ) اي هرب .

ومنها لفظ ( ابي ايوب ) هو كنية خالد بن زيد الانصاري الخزرجي المشهور رضي الله تعالى عنه والعوام يقولون ( أيوب ) زعماً منهم انه اسمٌ له .

ومنها قولهم بالآخر على وزن فاعل وقول بعضهم ( بالأَخرة ) بفتح الخاء في موضع ( بأَخِرَة ) على وزن حَمِئة . ففيها لحنان : تحريف لفظ ( أَخِرة ) وادخال اللام عليه . والصحيح حذف اللام لانها في موضع الحال . تقول جاءني فلان أَخِرةً وبأَخِرةٍ وعرفته بأَخرةٍ اي أخيراً وحق الحال ان تكون نكرة [1] .

ومنها لفظ ( امغيلان ) يلحنون فيه ويقولون ( مغيلان ) فان زعموا انه صح بكثرة

(١) قصر المؤلف كلامه على تصحيح (أَخِرة) كحمئة وكان عليه ان يتم تصحيح ( الآخر ) على وزن فاعل فصوابه ( آخراً ) من دون أَل يقال جاء آخراً اي اخيراً . والظاهر ان إعراب هذه الكلمات على الظرفية لا الحال كما قال المؤلف وان كانت في قوة الحال في المعني اي متأَخراً .

الاستعمال وصار كأنه من الالفاظ الأعجمية — قلنا قد عرفت ان كثرة استعمال الغلط لا يخرجه من الغلطية . وان سلّم فلا اقلّ من معرفة الأصل وعروض التحريف . وان ادّعوا ان سبب استعماله خفته على اللسان قلنا فلمَ يقولون في المقياس أُم القياس مع انه [1] أخف وأصح . وبالجملة لا يُعْذر اهل العلم في هذا . و ( أمّ غَيْلان ) شجرة السَمُر التي تكثر في بوادي الحجاز .

ومنها لفظ ( الإِناث ) هو ككتاب جمع الانثى ذكره في القاموس . والبعض يضم [2] همزته وهو وهم صريح .

ومنها ( الأَنانية [3] ) هي اختراع محض لا أصل لها .

ومنها لفظ (الأوان) هو كزمان لفظاً ومعنىً وبعض الناس يمدّ همزته . فقلت في هذا :

( أنكرُ لحنَ أبناء الزمان ووهْمَ الناس في لفظ الأوان )

( ولو حاولت للأوهام عداً اذاً ضاقت عن البعض الأواني )

ومنها لفظ ( الإِيوان ) هو والإِوَان بكسر اولها الصُفّة العظيمة كذا في الصحاح والقاموس . والناس يفتحون همزته وهو لحن اذ هو لفظ [4] عربي كالديوان ولكن يجوز الفتح [5] في الديوان حكاه في القاموس . وتكسير الإِيوان أواوين كديوان ودواوين لان أصله إوّان أبدلت من احدى الواوين ياء كما ذكر في الصحاح . ويمكن الاعتذار بان أهل بلادنا تلقفوا [6] هذه الكلمة من أبناء العجم وهو مفتوح الهمزة في لغاتهم [7] .

## فصل الباء

ومنها ( في فصل الباء ) (البرّية) بتشديد الراء الصحراء والجمع براري وتخفيف الناس راءها غلط اذ هي بالتخفيف فعيلة من بَرَأَ الله الخلق اي خلقهم والجمع البرايا [8] والهمزة مليّنة .

---

(١) اي مع ان لفظ المقياس . (٢) اما المضموم الهمزة فهو أُناس بالسين بمعنى الناس (٣) تصحيح الانانية ساقط من بعض النسخ (٤) صوابه غير عربي ففي التاج نقلاً عن المحكم وهو أعجمي (٥) اي فتح الدال (٦) وفي نسخة تلقّوا . (٧) وفي نسخة في لسانهم . (٨) وفي نسخة ( والجمع البرايا والبريات ) .

ومنها ( البُزاق ) مع اخويه البُساق والبُصاق بالتخفيف . والتشديدُ خطأ والمعنى معروف .

ومنها ( البشارة ) هي بالفتح بمعنى الجمال [١] . والاسم من البُشرى البُشارة بكسر الباء وضمها لا غير . والناس يفتحون الباء في الاسم من البُشرى وهمًا منهم ولحنًا [٢] .

ومنها (البقّم [٣]) وهو بالتشديد نص عليه في القاموس . فالتخفيف خطأ . ولا ينقص عجبي من هؤلاء القوم : يشدّدون المخفّف ويخفّفون المشدّد كأنهم جبلوا معكوسين .

ومنها (الباكرة) وهي من مخترعات العوام وليست من كلام العرب والصحيح البِكْر .

ومنها ( البلّور ) هو على وزن التنّور والسنّور وبالتخفيف كَسِبَطْر [٤] جوهر معروف كذا في القاموس . فكسر الباء مع ضم اللام على ما هو المشهور خطأ .

ومنها لفظ (الابن) يقطعون [٥] ما قبل الابن الواقع بين العَلَمين عنه ويكسرون باءه مبتدئين بها ويسكنون آخره فيقولون أحمد بنْ محمد مثلاً . وقد شاع هذا بين الناس حتى كاد لا يتحاشى عنه الخاصة ايضاً لاعتياد الألسن له . والوجه الوصل اذ لولاه لما سقطت الهمزة . وانما ذكرتُ ( الابن ) في هذا الفصل [٦] لان اصله بَنَوٌ او بَنَيٌ .

ومنها ( المبتني ) الصحيح فيه ان يقال الامر مبتَنى على كذا مبنيًا للمفعول بمعنى المبنيّ لان ارباب اللغة مطبقون على ان بنى الدار وابتناها بمعنىً واحد . والناس يخطئون فيه ويقولون الأمر مبتَنِي على كذا . زعمًا منهم انه لازم .

ومنها (بنيامين) كاسرائيل [٧] اخو يوسف عليه السلام ولا تقل ابن يامين كذا في القاموس . وقد شاع بين الناس ابن يامين ظنًا منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي . واما ( ابن يامن ) الذي ذكره طَرَفة بن العبد البكري في معلقته حيث

---

(١) والحسن وفلان أبشر من فلان اذا كان أحسن منه وأجمل وأسمن .

(٢) وفي نسخة وخطأ . (٣) البقم خشب شجر أحمر يصبغ بطبيخه . (٤) السِبَطْر على وزن هزبر الرجل الماضي الشهم . (٥) اي يسكنون آخر اللفظ الذي قبل ابن ثم يبتدأون بالباء مكسورة مع ان الواجب تحريكه ووصله بباء ابن مع حذف همزته التي هي همزة وصل . (٦) اي فصل الكلمات التي أولها باء . (٧) وفي نسخة كاسرافيل .

يقول : ( عَدَوْليَّة أو من سفين ابن يامن[١] ) فهو رجل من اهل حجر[٢] او تاجر بالبحرين وليس من اخوته عليه السلام ومعنى ابن يامن ابن رجل مسمى بيامن . و يامن[٣] من الاسماء المشهورة فكيف يصح ان يقال لابن يعقوب عليه السلام ابن يامين[٤] .

## ﴿ فصل التاء ﴾

ومنها ( في فصل التاء ) ( التوأمان ) هذا اللفظ تثنية توأم على وزن فوعل يقال اتأمت المرأة اذا وضعت اثنين في بطن واحد فهي متئم . وذكر في القاموس ان التوأم من جميع الحيوانات المولود مع غيره في بطن ذكراً كان أو أنثى . ويقال توأم للذكر وتوأمة للانثى فاذا جُمعا[٥] فهما توأمان . وغَلطُ الناس فيه انهم يستعملونه[٦] بمعنى التوأم . يقولون فلان توأمان فلان بالاضافة ظناً منهم انها كلمة واحدة[٧] كالزعفران والصحيح هو توأم فلان . وهما توأمان . وانما ذكرته في اول الفصل[٨] مع ان ثانيه واو لأن الواو زائدة والثاني هو الهمزة في الحقيقة وهكذا ذكره اصحاب اللغة .

ومنها (الترجمة) بفتح الجيم مصدر على وزن ( فعللة ) من تَرْجَمَ يقال ترجمه وترجم عنه اي فسّره . وماشاع[٩] بين الناس من ضم الجيم خطأ . وقد سمعت هذه اللفظة من بعض الأماثل فشدّدتُ النكير عليه ففكر طويلاً ثم أدى رأيه الا انها بوزن التفعلة كالتبصرة فاستحييت[١٠] ووددت اني لم اسأله عنها .

ومنها ( الترجمان ) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة .

---

(١) تتمته ( يجور بها الملاّح طوراً و يهتدي ) . (٢) بالفتح مدينة اليمامة وأم قراها ولعل صوابه هجر بالهاء لانها هي قاعدة البحرين . وفي نسخة من اهل الحجاز . (٣) وفي نسخة و يامن و ياسر . (٤) وفي نسخة ابن يامن . (٥) وفي نسخة ( واذا اجتمعا فهما توأمان ) . (٦) اي يستعملون (التوأمان) . (٧) اي مفردة لاتثنية . (٨) اي فصل التاء . على ان توأم اصلها (ووأم) من الوئام فهو مما أوله واو فكان الانسب ان يذكره في فصلها . (٩) كأنه سرى لهم ذلك من ضم جيم ترجُمان الشائعة على الالسنة . (١٠) اذ الفرق بين الترجمة والتبصرة ان الترجمة مصدر الرباعي المجرد كالدحرجة . اما التبصرة فمصدر الثلاثي المزيد عيناً من جنس عين فعله وهو باب فرّح اذ له مصدران التفعيل والتفعلة .

قال في القاموس الترجمان كعُنْفُوان وزَعْفَران وزبرقان [١] هو المفسر للسان .

ومنها ( المتروك ) يستعملونه استعمالاً شائعاً مكان التارك فيقولون مثلاً ( فلان متروك ) اذا ترك العلم او غيره . ولا يجوز ان يكون هذا مفعولاً بمعنى الفاعل كقوله تعالى ( انه كان وعده مأتيا ) وكقوله تعالى ( حجاباً مستوراً ) — لانه لا يجري فيه القياس بل هو مقصور على السماع . على أن صاحب الكشاف قال في قوله تعالى ( مأتيا ) مفعول بمعنى الفاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها . وحكى في قوله تعالى ( حجاباً مستوراً ) أقوالاً : منها انه حجاب لا يُرى فهو مستور . ومنها انه يجوز ان يراد به حجاباً من دونه حجاب . فهو مستور غيره .

ويمكن ان يُستخرج للمتروك [٢] وجه وان كان بعيداً وهو انهم نسبوا الترك الى العلم تأدباً ثم شاع هذا الاستعمال حتى قيل لمن ترك شيئاً من الصنعة [٣] متروك ايضاً .

واما (المشغول) فهو صحيح بلا نزاع لأن من يعكف على الشيء يشتغل به عن غيره فيصح ان يقال فلان مشغول بكذا اي مصروف به عن غيره . قال في الصحاح يقال شُغِلت عنك بكذا : على ما لم يُسمَّ فاعله .

## ﴿ فصل الثاء ﴾

ومنها ( في فصل الثاء ) (الثِقَل ) كعِنَب ضدُّ الخفة و يستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف . وهو خطأ لانه [٤] اسم للثقيل قال في الصحاح الثِقْل واحد الاثقال كحِمْل واحمال .

ومنها ( الثيّب ) يزيدون في هذه اللفظة هاء [٥] و يقولون ثيّبة وهو خطأ لانها

(١) قوله زبرقان بكسر الزاي والراء . لكن الذي رأيناه في نسخة مخطوطة لدينا من القاموس وفي التاج مكان زبرقان ( ريهقان ) بفتح الراء وضم الهاء بمعنى الزعفران فعلى هذا يقال ترجمان بفتح التاء وضم الجيم ولا غلط في كلام العامة . (٢) اي في قولهم : فلان متروك اذا ترك العلم . (٣) وفي نسخة : حتى قيل لمن ترك صنعته وفي أخرى لمن ترك ضيعته . (٤) اي لأن ( ثقل ) بالسكون . (٥) وفي نسخة تاء

وردت مجردة عن التاء بلا خلاف بينهم (١) قال في القاموس : الثيب المرأة فارقت زوجها او دُخل بها . والرجل دُخل به . او لا يقال للرجل الا في قولك (ولد الثيِّبَيْن) يعني انه لا يطلق على الرجل الا تغليباً . وفي تحرير (٢) هذه الكلمة اختلافات تتضمن فوائد لا بأس بذكرها :

فاعلم انه قال العلامة في المفصل : للبصريين في نحو حائض وحامل (٣) وطالق مذهبان : فعند الخليل انه على معنى النسب : كلابن وتامر : كأنه قال : ذات حيض وذات حمْل وذات طلاق . وعند سيبويه انه متأوّل بانسان او بشيء حائض . كقولهم غلام رَبْعة ويَفَعَة (٤) على تأويل النفس . وانما يكون ذلك في الصفة الثابتة . واما الحادثة فلا بد لها من علامة التأنيث فتقول : حائضة وطالقة الآن او غداً .

أقول قد أوضح في الكشاف الفرق بين الصفة الثابتة والحادثة في تفسير قوله تعالى ( يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ) — بان (المرضع) هي التي من شأنها الإرضاع وان لم تكن ثابتة (٥) الإرضاع في حال وصفها به . و (المرضعة) هي التي في حالة الإرضاع ملقمة (٦) ثديها الصبي . وذكر انه هو سبب اختيار (المرضعة) على (المرضع) لان المراد تعظيم (٧) شأن الزلزلة وهي أدخل فيها (٨) .

ثم قال في المفصل : فمذهب الكوفيين يبطله جريُ (الضامر) على الناقة والجمل و (العاشق) على المرأة والرجل . على أن مذهب الكوفيين هو أن حذف التاء من نحو حائض للاستغناء عنها . وهذا يوجب اثبات التاء في محل الالتباس كضامر وعاشق وأيّم وثيّب وعانس وغيرها (٩) على الذكور والاناث . وهذا (١٠) الاعتراض متين لكن

(١) وفي نسخة على خلاف بينهم . (٢) وفي نسخة تجريد هذه الكلمة . (٣) وفي نسخة و(طامث) بدل وحامل . (٤) رَبْعَة اي وسيط القامة وغلام يفعة شب ولم يبلغ . (٥) وفي نسخة وان لم تكن تباشر الإرضاع . (٦) وفي نسخة تلقم . (٧) وفي نسخة تفظيع . (٨) كذا في النسخ ولعل صوابه فيه اي في تعظيم شأن الزلزلة والمعنى ان إلقام الثدي والإرضاع بالفعل أدخل في تعظيم شأن الزلزلة وأشد تصويراً لاحضار هولها في أذهان المخاطبين . (٩) متعلق بمحذوف اي مما يصح اطلاقه على الذكور الخ . (١٠) وفي نسخة لان الاعتراض الخ .